المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠

السر جورج ستوكس

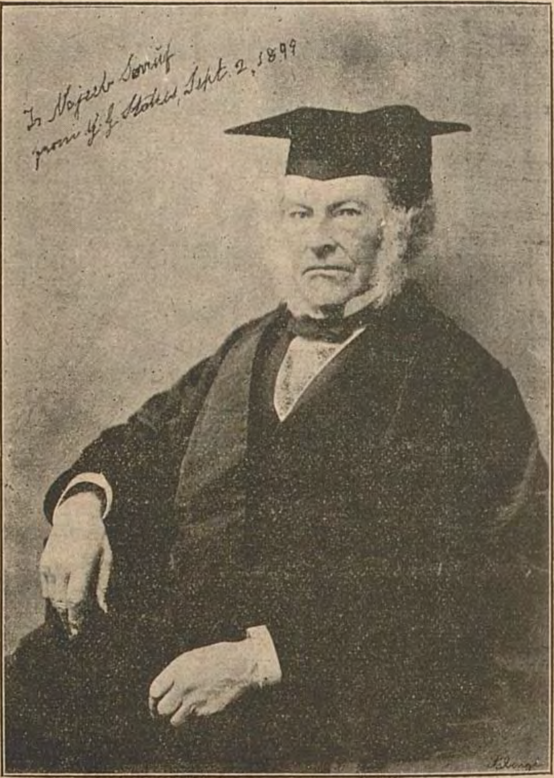

فقدت البلاد الانكليزية اكبر علمائها الرياضيين الذي لهُ الفضل الاكبر في اكتشاف الحقائق الرياضية وما بُني عليها من المعارف الطبيعيَّة خليفة الفيلسوف اسحق نيوتن وقرينهُ في

العلم والتعليم وهو السر جورج غبرائيل ستوكس شيخ علماء الرياضيات توفي في غرة فبراير الماضي في الثالثة والثمانين من عمرهِ

كانت ولادتهُ في الثالث عشر من اغسطس سنة ١٨١٩ وتلقَّى العلوم العالية في مدرسة كمبردج الجامعة وكان الاول بين الذين احرزوا قصب السبق في العلوم الرياضية فجُعل استاذًا للرياضيات فيها في المنصب الذي كان فيهِ الفيلسوف اسحق نيوتن وذلك سنة ١٨٤٩ وانتخب رئيسًا للجمعيَّة الملكية وعضوًا في البارلمنت عن مدرسة كمبردج ورئيسًا لجمعية فكتوريا الفلسفية. واحتفلت مدرسة كمبردج سنة ١٨٩٩ بمضي خمسين سنة منذ جعل استاذًا فيها فحضر الاحتفال جمهور من نخبة علماء اوربا ونواب المدارس الجامعة والجمعيات العلمية من كل اقطار المسكونة وخطب فيهِ الاستاذ كورني الفرنسوي خطبة ريد التي نشرناها في صدر الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف وقال في ختامها

"قلت في اول خطبتي ان علم البصريات هو المدير للعلوم الطبيعيَّة وان كان قد خامركم ريب في ذلك فقد أُبدل هذا الريب الآن باستعظام النتائج التي نتجت عنهُ ولا تزال تنتج عن درس خواص التموُّجات التي تنتقل بها القوى الطبيعيَّة . هذا هو الدرس الذي امتاز بهِ السر جورج ستوكس موضوع اكرامنا في هذا الاحتفال . ويحق لمدرسة كمبردج ان تفتخر بتدريس الطبيعيات الرياضيَّة لان الاساتذة الذين تولوهُ من السر اسحق نيوتن الى السر جورج ستوكس قد كان لهم النصيب الاوفر في ترقية العلوم الطبيعية وتوسيع نطاقها"

اما اشغالهُ العلميَّة فهاك بعض ما قالهُ فيها لورد كلفن ونشر في الجزء الاخير من جريدة ناتشر مبنيًّا على ما جمع ونشر حتى الآن من مقالاتهِ

"اشتغل ستوكس بكل ما تدور عليهِ الفلسفة الطبيعيَّة ما عدا الكهربائية وغاص في العلوم الرياضية المحضة فانارها بقريحتهِ الوقَّادة مثال ذلك ان الاستاذ ملر رأى ثلاثين حزمة من الخطوط المظلمة في الاقواس الاضافيَّة التي تظهر مع قوس قزح فعلَّل الاستاذ اري هذه الحزم بمعادلة رياضية عويصة جدًّا استعمل فيها اللوغارثم الى عشر منازل ولم يعلل الَّا حزمتين منها . فاخذ ستوكس هذه المسأَلة ووضع لها قاعدة رياضية بسيطة تعلل بها الحزم المظلمة كلها مهما بلغ عددها على اسهل سبيل اي انهُ وضع النظرية التي يعرَف بها كل ما يتعلَّق بقوس قزح (وكان ذلك في بداءة سنة ١٨٥٠)

"كانت الرياضيات في يدهِ وسيلة لغاية والغاية التي كان يقصدها الفلسفة الطبيعية فكان اشتغالهُ بالصوت والنور والحرارة والكيمياء فوسَّع هذه الفروع الطبيعية بدرس خواص المادة

مستعيناً على ذلك بالامتحانات والرياضيات

" كانت مقالاتهُ الاولى المطبوعة في حركة السوائل وقد ضمَّنها حلاًّ رياضيًّا بديعاً للحركة في سائل لا ينضغط داخل صندوق قائم الزوايا . وهذا الحل يصدق على معرفة مقاومة موشور من المعدن او الزجاج للقوات التي تدعو الى فتلهِ او تغيير شكلهِ وقد نشر هذه المقالات سنة ١٨٤١ و١٨٤٢

"ونشر سنة ١٨٤٣ مقالة في لزوجة السوائل ضمنها نظريتهُ التي صارت اساساً لعلم حركة السوائل الداخليَّة ونظريَّة اخرى صارت اساساً لما يعلم الآن من امر الاجسام المرنة في حالتي الحركة والسكون

"وبعد سبع سنوات قدَّم مقالة الى جمعية كمبردج الفلسفية موضوعها فرك السائلات الداخلي وتأثيرهُ في حركة الرقاص فحلَّ اربعاً من اعوص المسائل الرياضية التي عجز عن حلها الرياضيون قبلهُ وهي (١) ارتجاج كرة صلبة في سائل لزج موضوع في وعاءٍ كروي مركزهُ متوسط مركز الكرة (٢) ارتجاج اسطوانة مستديرة غير محدودة في سائل لزج غير محدود (٣) معرفة حركة سائل لزج حول كرة متحركة فيهِ بسرعة قليلة (٤) تأثير فرك السائل في تسكين التموجات وعود البحر الى السكون بعد ان تسكن الزوبعة التي اثارت امواجهُ

" ومن اهم المقالات التي كتبها في النور مقالتهُ عن تشرُّفهِ نشرت سنة ١٨٤٩ بيَّن فيها النظريَّة التي يعلَّل بها تشرُّف النور وضمنها نظريَّة انتقال الحركة في موصل مرن متساوي الكثافة وضمنها ايضاً تجارب كثيرة بيَّن فيها ان سطح الاستقطاب هو السطح العمودي لاتجاه التموجات في سطح النور المستقطب

"واعظم مقالات ستوكس في النور مقالة قدمها الى الجمعية الملكية سنة ١٨٥٢ موضوعها تغيُّر انكسار النور فانهُ وصف فيها اكتشافهُ للنور الفصفوري"

هذا مثال ممَّا كتبهُ لورد كلفن عن اشغال ستوكس العلمية ذكرناهُ ونحن نعلم انهُ غير مألوف عند جمهور القراء . ولا شبهة في ان الحقائق العلمية التي اكتشفها او اوضحها هي اساس لكثير من المعارف الطبيعية التي نتج عنها جانب كبير من الارتقاء العلمي والصناعي في اوربا واميركا وكانت فائدتهُ في التعليم عظيمة كفائدتهِ في البحث العلمي وكثيرون من كبار العلماء والمكتشفين من تلامذتهِ الذين استناروا بنور علمهِ

وقد كان مع علو مقامهِ العلمي من اودع الناس واشدهم اتضاعاً واكثرهم نفعاً لغيرهِ وابعدهم عن الدعوى وحب الاشتهار بالمكتشفات العلمية او الاستفادة المالية منها . رأى ولدنا نجيب

صرُوف في مجمع ترقية العلوم البريطاني فعطف عليهِ كما يعطف الاب على بنيهِ ودعاهُ الى بيتهِ واهدى اليهِ صورتهُ وامضى اسمهُ عليها بيدهِ وكانت ترتجف لشيخوختهِ وعنها نُقلت الصورة التي في صدر هذه المقالة

ودفن باحتفال عظيم جدًّا حضرهُ نواب المدارس والجمعيَّات العلميَّة من كل البلاد الانكليزيَّة وقد اعترضت جريدة ناتشر لانهُ لم يدفن في وستمنستر مدفن عظماء الانكليز قائلة انهُ كان عظيمًا بنفسهِ وعظيمًا باعمالهِ والامة كلها تحبُّ ان يكون لهُ اعظم تذكار عندها فان هو لم يدفن في وستمنستر فمن يستحق ان يدفن فيهِ

السنيور مركوني

ومستقبل تلغرافهِ

لا يذكر الآن اسم السر جورج ستوكس مرةً حتى يذكر اسم السنيور مركوني الف مرة مع ان مركوني تلميذ تلامذة ستوكس ولم يكتشف حقيقة علميَّة واحدة تقابل بالحقائق التي اكتشفها ستوكس لكنهُ اهتدى الى استخدام بعض الحقائق التي اكتشفها غيرهُ على اسلوب بديع نافع تناولتهُ الشركات التجاريَّة فعضدتهُ بالمال واذاعتهُ في الخافقين حتى يتَّسع نطاقهُ وتجني منهُ الربح الوافر

والسنيور مركوني شاب ايطالي ولد سنة ١٨٧٥ من اب ايطالي وام انكليزية ودرس في مدرستي لجهورن وبولونا الجامعتين ووصف كيفيَّة اتصالهِ الى هذا الاكتشاف بقولهِ

" خطر لي نقل الاخبار بواسطة امواج الاثير في ربيع سنة ١٨٩٤ وانا اقرأُ عن اعمال الاستاذ هرتس في جريدة ايطاليَّة تبحث في المواضيع الكهربائيَّة . وكان هرتس قد استعمل حلقة معدنيَّة لاكتشاف الامواج الكهربائية الخارجة من آلتهِ وهذه الحلقة غير متصلة بل لها طرفان يكادان يتماسَّان فاذا وصلت اليها الامواج الكهربائية بانت فيها شرارة بين هذين الطرفين . اي انهُ اثبت بالامتحان ان الامواج الكهربائية تنتشر في الفضاء ويستدلُّ على وجودها بحلقة معدنية . فخطر لي انهُ اذا امكنني ان اغير انبعاث الامواج الكهربائية واجعل بينها فترات طويلة وقصيرة دلَّت الشرارة الكهربائية عليها ايضاً فيكون ذلك بمثابة نقل الاشارات في الفضاء بامواج هرتس الكهربائية من غير موصل معدني فتقوم الفترة القصيرة مقام النقطة في تلغراف مورس والفترة الطويلة مقام الخط وبذلك تنقل اشارات تدلُّ على الكلمات من مكان الى آخر

"ورأيت هذا الامر بسيطاً واضحاً جدًّا حتى لم يخطر ببالي اولاً ان احاول اثباتهُ بالامتحان لانني كنت اعلم ان كثيرين من العلماء يبحثون في هذا الموضوع وهم امهر مني جدًّا ولا بدَّ من ان يمتحنوهُ ويثبتوهُ . وانتظرت نحو سنة فلم اسمع ان احداً استعمل امواج هرتس لنقل الاشارات فشرعتُ في الامتحان وكان ذلك في شهر دسمبر سنة ١٨٩٤ فرأيتُ من النتائج ما ادهشني

"وكنت قد أُولعت بدرس الكهربائية منذ بضع سنين كاحد الغواة واقمت معملاً كهربائيًّا صغيراً في بيت ابي قرب بولونا وضعت فيهِ بطريات ونحوها ممَّا يستعمل في درس المواضيع الكهربائية وكنت احاول البحث في قضية اشكل حلها على العلماء وهي تحويل الحرارة الى كهربائيَّة مباشرةً وفي استعمال البخار في الآلات البخاريَّة

"ولا اظن ان احداً من الباحثين اشار باستعمال امواج هرتس الكهربائية لنقل الاخبار من مكان الى آخر قبلما اشرت بهِ انا فانا اول من اشار باستعمال هذه الامواج وانا اول من استعملها فنقلت الاشارات بها في الفضاء وكان ذلك سنة ١٨٩٤ . والحقائق العلميَّة التي بنيت

عليها آلتي كانت معروفة وغاية ما فعلتهُ فيها انني اصلحتها ونوَّعتها حتى صارت تناسب مرادي. وغاية العلم الوصول الى النتائج المطلوبة باقل ما يكون من التعب والوقت والعبرة بالنتائج لا بالوسائل"

ولما ارسل الاشارات الكهربائية مسافة عشرة اميال ظنَّ كثيرون انهُ بلغ الحدَّ الذي يمكن ان ترسل اليهِ لان القوة الكهربائية لا تكفي لنقل الامواج الكهربائية الى ابعد من ذلك ولان الجبال والتلال وتحدُّب الارض كل ذلك يضعف قوتها ويمنع انتقالها لكنهُ خيَّب ظنهم وارسل الاشارات الكهربائية مسافة ثلاثين ميلاً وبيَّن ان امواجها تخرق الجبال والتلال

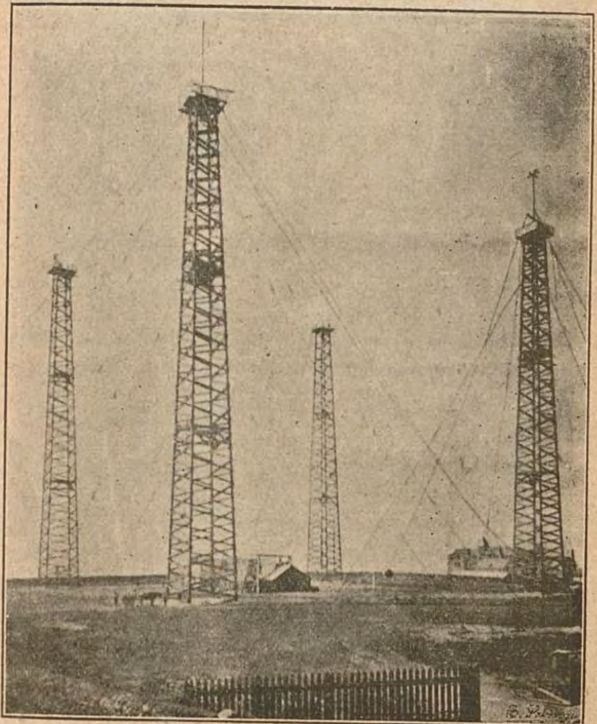

وتسير موازية لسطح الارض في تحدبهِ لا في خطوط مستقيمة وقال حينئذٍ انهُ يستطيع نقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا. ولو كانت هذه الاشارات تسير في خطوط مستقيمة من اوربا الى اميركا لوجب ان تخرق الارض وتغور فيها مئة وثلاثين ميلاً في منتصف المسافة بين اوربا واميركا بداعي كروية الارض ولكن يظهر انها تسير في اقواس موازية لسطحها

وقد تمَّ ما قالهُ ونقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا فاطار اولاً طيارات اوصل بها الاسلاك الكهربائية ونقل بها حرفاً واحداً من اوربا الى اميركا ولما ثبت لهُ ذلك نصب اعمدة

طويلة طول كل عمود منها ٢١٠ اقدام ووصل رؤوسها باسلاك معدنية حتى تكون شَرَكاً لصيد الامواج الكهربائية واقام بعضها في طرف اوربا الغربي عند ارلندا وبعضها في طرف اميركا الشرقي امام كندا لكن العواصف عبثت بها وقلبتها فبنى ابراجاً كبيرة من الخشب بدلاً منها كما ترى في الشكل الثاني وهو صورة الابراج الاربعة المنصوبة في كورنول باوربا ارتفاع كل برج منها ٢١٥ قدماً ووصل رؤوسها باسلاك معدنية كما ترى في الشكل

وقد اقام هذه الابراج الآن في ثلاثة اماكن في كورنول ببلاد الانكليز كما تقدَّم وفي راس برتن بنوفاسكوتيا شرقي كندا وفي راس كُد قرب بوستن بالولايات المتحدة الاميركية وكلها متشابهة . ونفقة اقامتها غير قليلة ولكنها ليست شيئاً مذكوراً تجاه النفقات الكثيرة التي تقتضيها اسلاك التلغراف الممدود في البحر

هذا من حيث تلغراف مركوني وكيفية اكتشافهِ اما مستقبلهُ فالناس مختلفون فيهِ يظن فريق انهُ لا يمكن ان يتغلَّب على المصاعب الكثيرة التي تحول دون نجاحهِ فيُهمَل او يبقى استعمالهُ ضيّق النطاق جدًّا فيستعمل لنقل الاخبار بين البوارج في عرض البحار وبين فرق الجيش الواحد حيث لا اسلاك تلغرافية او حيث العدو نازل بينها . اي يكون استعمالهُ خاصًّا بالدول لا يقوم مقام التلغراف ولا يستفيد منهُ الناس في معاملاتهم . ويظن فريق آخر ان مركوني وغيرهُ من المكتشفين سيزيدون هذا التلغراف اتقاناً حتى يسهل استعمالهُ كما يستعمل التلغراف الكهربائي الآن

اما الفريق الاول فيقول ان تلغراف مركوني لا يشيع استعمالهُ ما لم يستوفِ اربعة شروط الاول ان يثق مرسل الخبر بان خبرهُ أُرسل ووصل المكان الذي ارسلهُ اليهِ . والثاني انهُ يصل كما يرسلهُ بالدقة التامة . والثالث انهُ يصل بالسرعة الكافية . والرابع انهُ يبقى سرًّا لا يطَّلع عليهِ كل احد . ويظن المعتقدون نجاح هذا التلغراف انهُ يمكن ان تصنع آلات ترسل امواجاً مخصوصةً ويعطى الامتياز باستعمالها لاصحابها فينحصر استعمالها فيهم ولا يبقى خوف من ان اشاراتهم تسرَق في الطريق . وتستعمل حروف اصطلاحية خاصَّة كالحروف التي يستعملها التجار الآن في اخبارهم التجاريَّة التي يريدون ان تبقى مكتومة وبذلك يتم الشرط الاول والثاني والرابع . اما الشرط الثالث وهو ان ترسل الاشارات بالسرعة الكافية او بسرعة تماثل سرعة التلغراف فامرهُ صعب على ما يظهر باديء بدءٍ لان اسلاك التلغراف التي بين اوربا واميركا يرسل بها الآن مئة كلمة في الدقيقة ويسهل ان ترسل رسالة برقية من لندن الى نيويورك في دقيقة من الزمان وترسل رسالة برقية ويأتي جوابها في عشر دقائق وهذا امر

عادي واما تلغراف مركوني فسرعة ارسال الرسائل بهِ بطيئة جدًّا ولو كان سير الامواج الكهربائية من جهة الى اخرى على غاية السرعة . ويرد على ذلك بان سرعة التلغراف العادي بين اوربا واميركا كانت عند اول مدهِ اقل من سرعة تلغراف مركوني الآن

هذا ومعلوم ان الشركات التلغرافية اوجست خيفة من تلغراف مركوني وستبذل جهدها في مقاومتهِ ان لم يكن بوضع العراقيل في طريقهِ فبزيادة العناية في اتقان اعمالها وترخيص اسعارها كما فعلت شركات الغاز لمَّا ظهر النور الكهربائي . وقد استولى الخوف على حاملي اسهم شركات التلغراف فتهافتوا على بيعها والحكماء الذين يقدّرون العواقب يشترونها عالمين ان الدنيا تسع التلغرافين كما انها لا تزال تسع نور الغاز والنور الكهربائي. واذا زاد تلغراف مركوني اتقانًا فلا بدَّ من ان يزيد انتشارهُ واستعمالهُ رويدًا رويدًا ولكن ذلك لا يمنع استعمال التلغراف العادي ولو قلل مد خطوط جديدة منهُ

هذا ولم يجمع الكتَّاب الاوربيون والاميركيون حتى الآن على كلمة واحدة للدلالة على تلغراف مركوني فبعضهم يسميهِ التلغراف الذي لا سلك لهُ وبعضهم يسميهِ التلغراف الاثيري وبعضهم يسميهِ تلغراف امواج هرتس وبعضهم يسميهِ تلغراف مركوني. وحبذا لو اتفقوا على كلمة واحدة يسهل تعريبها ولو كان الامر مفوَّضًا الينا لاشتققنا من اسم مركوني اسم المَرْكَن للدلالة على تلغرافهِ وفعل مَرْكَن للدلالة على ارسال الاشارات البرقيَّة بهِ وفي ذلك اختصار كثير ودلالة على المراد واضحة

غرض علم الميكروبات

ان وجهة علم الطب قد تغيَّرت في العشرين السنة الاخيرة لان علم الميكروبات غيَّر آراء الاطباء في حقيقة الامراض . وقد لقي هذا العلم اشد المقاومة من جمهور الاطباء بعد ان بين باستور في فرنسا وتندل في انكلترا ان الاحياء الصغيرة لا تتولَّد من نفسها بل تولد ولادة من بزور او جراثيم من نوعها . ولم يقبل الاطباء حقائق علم الميكروبات الَّا منذ عشرين سنة الى الآن وكان للدكتور كوخ اليد الطولى في ذلك حينما بيَّن بادلَّة الامتحان علاقة ميكروب السل بداء السل

ومن اكبر الفوائد التي نجمت عن علم الميكروبات اثبات حقيقة الامراض المشتبه فيها كما يرى في اثبات حوادث الكوليرا والطاعون والدفتيريا والكَلَب فان ظواهر هذه الامراض قد

لا تكون واضحة وضوحاً ينفي الريب او قلما تكون واضحة ولاسيما اذا كانت مفردة فيأتي البحث الميكروبي ويثبتها او ينفيها بالدقَّة التامَّة ويصير اهل المريض ورجال الصحَّة على بينّة من امرهم في استعمال الطرق العلاجية ووسائل الوقاية والتطهير والفرز . وكذلك في السل فانهُ اذا كان في بداءتهِ وثبت وجود ميكروبهِ في النفث سهل علاجهُ وشفاؤُهُ . وقس على ذلك كثيرًا من الامراض التي اذا عُرفت في اول ظهورها سهل علاجها وشفاؤُها

ثم ان لهذا العلم فائدة اخرى في البحث عن اسباب الوقاية من الامراض . وقد وجد العلماءُ الباحثون ان الجسم الذي يوقى من مرض بالوقاية الطبيعية او بالتطعيم او نحوهِ تتكون في دمهِ اجسام صغيرة تقاوم ميكروبات ذلك المرض . لكنهم اختلفوا في حقيقة هذه الاجسام فقال الاستاذ متشنيكوف والذين ذهبوا مذهبهُ انها خلايا الدم البيضاءُ فهي تأكل ميكروبات الامراض وتنجي الجسم منها فسمُّوها آكلة الخلايا وقال الاستاذ اهرلخ وانصارهُ ان في الخلايا التي يتألَّف منها الجسم مواد تقيها من فعل السموم التي تتولَّد فيهِ عادةً فاذا دخلهُ سمُّ مرض من الامراض هيج الخلايا التي يتألَّف الجسم منها فافرزت مادةً تقاوم بها فعل ذلك السم فتكثر تلك المادة في الدم وتقاوم سم المرض وتمنعهُ من البلوغ الى الخلايا وتبطل فعلهُ . وعند الاستاذ اهرلخ ان فعل هذه المادة بالسموم المرضية مماثل لفعل الحوامض بالقلويات او القلويات بالحوامض فكما ان الحامض يتحد بالقلوي ويكوّن ملحاً متعادلاً لا حامضاً ولا قلويًّا كذلك تفرز من خلايا الجسم مادة تتحد بسم الميكروبات المرضيَّة وتزيل فعلها الضار. فاذا سمينا ما تفرزهُ الميكروبات المرضيَّة سمًّا فما تفرزهُ خلايا الجسم ترياق لها واذا تغلب السم على الترياق تغلَّب المرض على الصحَّة واذا تغلَّب الترياق على السم تغلبت الصحة على المرض والاَّ فالحرب سجال .

وخلايا الميكروبات المرضية مثل خلايا الجسم اي فيها مادة سامَّة ومادة اخرى تعدّل فعل ذلك السم فالجسم الحي تتولَّد فيهِ مواد سامَّة وتتولَّد فيهِ ايضاً مواد مقاومة لفعل السم وعلى هذا المبدإِ بني استخراج المصل المضاد الدفثيريا والمصل المضاد للتتانوس فانهُ اذا دخل ميكروب الدفثيريا بدن حيوان افرزت خلاياهُ المادة التي تضاد سم ذلك الميكروب وكثرت هذه المادة في مصل دمهِ فيصير ترياقاً لسم الدفثيريا

وكان المظنون انهُ يمكن اكتشاف مصل يشفي من السل وغيرهِ من الامراض المعدية كما كُشف مصل يشفي من الدفثيريا ولكن خاب الظن كما هو معلوم وسبب ذلك في ما يقال ان المادة التي تشفي من الدفثيريا سائلة فيسهل افرازها من خلايا الجسم وبقاؤُها في مصل الدم واما المادة التي تشفي من السل او تكون في خلايا الجسم لمقاومة السل فليست سائلة او لا تحفظ في

حالة سائلة . فكأنها مثل مادة الاختمار التي ثبت الآن انها مادة خلايا الخميرة نفسها لا مادة حيَّة موجودة فيها. واستخراج هذه المادة من الميكروبات المرضية نفسها اسهل من استخراجها من خلايا الجسم ويؤيد ذلك ان المادة التي يستعملها هفكن لقاحاً واقياً من الطاعون هي نفس ميكروب الطاعون المعقم . والصعوبة قائمة في كيفيَّة سحق الميكروبات المرضية ليصنع اللقاح منها لانها دقيقة جدًّا ادق من ان تؤَثر فيها طرق السحق العادية . لكن ثبت الآن للاستاذ مكفادن انهُ اذا بُرّدت الميكروبات في الهواء السائل صارت قصفة سهلة الكسر والسحق . وقد عولجت ميكروبات التيفويد كذلك فوُجد ضمن خلاياها مادة تقاوم فعلها ويُظَن انهُ يمكن استعمالها لقاحاً واقياً من التيفويد او مصلاً شافياً منهُ

تنقية الهواء

اكتشاف جديد

يعلم خاصَّة القراء وعامتهم ان الهواء يدخل الرئتين نقيًّا ويخرج منهما وفيهِ مواد سامة حتى اذا اقام انسان في مكان ضيق لا يتجدَّد هواؤُهُ فسد الهواءُ الذي حولهُ حالاً ولم يعد صالحًا للتنفس فيموت اختناقًا . ويحدث شيءٌ مثل ذلك في الهواء المحصور اذا أُحرق فيهِ الفحم او طال انحلال المواد النباتية فيهِ كما يحدث في الغرف المسدودة النوافذ التي يشعل فيها الفحم وكما يحدث في الآبار التي تطرَح فيها الزبالة فان كثيرين يموتون كل سنة من استنشاق الهواء في غرف أُشعل الفحم فيها او من النزول في آبار فاسدة الهواء . وقد ثبت الآن ان المادة الكيماويَّة المسماة براكسيد الصوديوم التي لم يكن يُعرَف لها اقل نفع تصلح الهواء الذي افسدهُ التنفُّس او اشتعال الفحم او انحلال المواد النباتية لانها تتحد باكسيد الكربون الثاني فيتكون منها كربونات الصودا ويفلت الاكسجين النقي الذي يصلح للتنفس ويصلح الهواء ويكون مقدار الاكسجين كمقدار اكسيد الكربون

ومن المقرر ان مقدار اكسيد الكربون في الهواء الخارج من الرئتين نحو اربعة وثلث في المئة . والهواءُ الذي يدخل الرئتين او يخرج منهما في الساعة من الزمان يبلغ عشرين قدماً مكعبة فيكون فيهِ نحو قدم مكعبة من اكسيد الكربون . وقد ثبت ان الرطل من براكسيد الصوديوم يمتص قدمين مكعبتين وثلث قدم من اكسيد الكربون الثاني ويطلق قدمين مكعبتين وثلث قدم من الاكسجين النقي ولذلك فعشرة ارطال من براكسيد الصوديوم تكفي الانسان اربعاً

وعشرين ساعة لنزع الغاز السام من الهواء الذي يتنفسهُ فيستطيع ان يقيم في قنينة كبيرة من الزجاج ومعهُ عشرة ارطال من براكسيد الصوديوم ويبقى حيًّا ولو سُدَّت القنينة عليهِ سدًّا محكمًا ولذلك فهذه المادة تفيد في الاحوال التالية

(١) في تنقية هواء المساكن والمعامل والمعابد والمستشفيات ونحو ذلك من الاماكن التي يكثر ازدحام الناس فيها فيخشى من فساد هوائها ولو كان مطلقًا بعض الاطلاق

(٢) في معالجة بعض الامراض التي تستلزم كثرة الهواء النقي من غير تعرُّض للبرد او لمجاري الهواء كما في داء السل

(٣) في المناجم العميقة التي يفسد هواؤُها لقلَّة تجدُّدهِ

(٤) في الحرائق الكبيرة التي يخشى فيها من اختناق رجال المطافىء فانهم اذا وضعوا في الخوذ التي حول وجوههم قليلاً من هذه المادَّة استطاعوا ان يدخلوا بين النيران وكثيف الدخان من غير ان يختنقوا

(٥) في الغوص في البحر فان الغوَّاص يستطيع ان يضع في الخوذة قرب انفهِ قليلاً من هذه المادة فيستغني بها عن الانابيب التي توصل الهواء النقي اليهِ

(٦) في السفن الغوَّاصة حيث يصعب ايجاد الهواء النقي الكافي للذين فيها

اما الغوَّاصون ونحوهم من الذين يعملون اعمالاً شاقَّة ويستعملون مقدارًا كبيرًا من الاكسجين فلا بدَّ من ان يزاد لهم مقدار براكسيد الصوديوم ولعلهم لا يكتفون باقل من رطل كل ساعة والذين لا يعملون عملاً يكتفون باقل من نصف رطل في الساعة

والهواء قلما يفسد في غرف السكن فسادًا يدعو الى استعمال المواد الكيماويَّة لتنقيتهِ ولو كانت نوافذها كلها مغلقة لان الخروق الصغيرة التي في خشب الابواب والشبابيك وفي مسام الجدران تكفي لتجديد الهواء وتنقيتهِ غالبًا ولاسيما اذا اختلفت درجة الحرارة بين داخل الغرف وخارجها ولكن اذا خيف من فسادهِ فهذه المادة تصلحهُ اذا سحقت ووضعت في صحاف واسعة. وهي بيضاء مائلة الى الصفرة فاذا اتصل بها الهواء غير النقي صار لونها احمر برتقاليًّا اولاً ثم اذا طال تعرُّضها للهواء صارت بيضاء اللون فيعلم من ذلك انها امتصت كل ما تستطيع امتصاصهُ من اكسيد الكربون

وثمن الرطل من هذه المادة الآن نحو ثمانية غروش ولا بدَّ من ان يرخص ثمنها اذا كثر استعمالها وهي تتولَّد باحماء عنصر الصوديوم في الهواء وتذوب في الماء بسهولة وينحلُّ مذوبها سريعًا فيتولَّد منهُ اكسجين وصودا كاوية

وقد كان اكتشاف فعلها في تطهير الهواء عرضاً والفضل في ذلك للفيران فانها هي التي هدت اليها كما سيجيء

كان رجلان فرنسويَّان وهما الدكتور دسغره والدكتور بلتيار الكيماويان يجربان بعض التجارب الكيماوية فنسيا بعض الفيران في اناء من الزجاج بعد ان سدَّاهُ سدًّا محكمًا. وفتحا ذلك الاناء بعد ايام فوجدا الفيران لا تزال حية فيهِ مع انها كان يجب ان تموت اختناقاً بعد تنفسها كل ما في هوائهِ من الاكسجين . وكانت نحيفة جدًّا لانها قضت هذه الايام بغير طعام ولكنها كانت حيَّة تتنفَّس جيدًا. وكان في الاناء قطعة كبيرة من براكسيد الصوديوم فاستنتجا ان البراكسيد هو الذي حفظها من الاختناق ووقاها من الموت. واخذا يجرّبان التجارب ليتحققا صدق هذا الاستنتاج فوضعا الارانب والكلاب في آنية زجاجية كبيرة وسدَّاها سدًّا محكمًا ووضعا معها قطعاً من براكسيد الصوديوم ولم يكن هواء هذه الآنية يكفي الحيوانات التي وضعاها فيها اكثر من نصف ساعة ولكنها بقيت اكثر من خمس ساعات ولم تصب بضرر كأنها كانت في الهواء المطلق

حينئذٍ قرَّ قرارهما على امتحان ذلك في الانسان فصنعا خوذة من الخوذ التي يلبسها الغوَّاصون عادة تسع من الهواء ما يملأُ خمس اكواب وطلياها من الداخل ببراكسيد الصوديوم ولبسها غواص وغاص بها في الماء فاقام زماناً طويلاً ولم ينلهُ ضرر . وثبت لهما حينئذٍ انهما اكتشفا اكتشافاً جزيل النفع على بساطتهِ وان براكسيد الصوديوم اقدر المواد الكيماويَّة كلها على اخذ الحامض الكربونيك من الهواء وردهِ الى الهواء اكسجيناً صرفاً

وقد راجعنا ما عندنا من كتب الكيمياء والمعجمات قبل كتابة هذه السطور لنرى ما تقولهُ عن فائدة براكسيد الصوديوم فلم نجد انها تعزو اليهِ فائدة من الفوائد ووجدنا سكلوبيذيا تشمبرس تقول انهُ خالٍ من كل فائدة . هذا ما كان يقال عنهُ منذ بضع سنوات اما الآن فكشفت لهُ فائدة من اكبر الفوائد . وظاهر الامر ان اكتشافها حدث عرَضاً ولولا الفيران ما كُشفت وشأن الفيران في ذلك شأن التفاحة التي يقال انها نبهت الفيلسوف اسحق نيوتن الى اكتشاف ناموس الجاذبيَّة فقد رأى الناس كلهم سقوط الاثمار من الاشجار في كل الاماكن والازمنة ولكن لم يستنتج احد من سقوطها تلك النتيجة الجلَّى الاَّ عقل ذلك الفيلسوف العظيم وكذا هذان الكيماويان اكتشفا ما اكتشفا لان عقلهما كان مدرَّباً على البحث العلمي ورد المسببات الى اسبابها

حلُّ مسأَلة الاسيتيلين

لما كُشف غاز الاسيتيلين وثبت انهُ رخيص الثمن ساطع النور امَّل كل احد انهُ يقوم مقام غاز الضوء ومقام الكهربائية لانهُ ارخص منهما واسطع نورًا . ولكن كثرت حوادث الانفجار على اثر استعمالهِ حتى ابتعد الناس عنهُ بعد اقبالهم عليهِ . واهتمَّ كثيرون باكتشاف طريقة تمنع انفجارهُ منعًا تامًّا فاهتدى رجل انكليزي اسمهُ اتكنس اخيرًا الى اكتشاف طريقة لاستحضارهِ من غير ماءٍ وتسمَّى طريقتهُ بالطريقة الجافَّة . واستحضارهُ هذا من غير ماءٍ بهذه الطريقة الجافَّة يمنع الانفجار حتمًا ولهُ مزايا أُخرى كثيرة اهمها ان المواد التي تتخلَّف بعد استخراجهِ يساوي ثمنها ثمن المواد التي استُخرج منها كأَنَّ مستخرجهُ يضيءُ بهِ بيتهُ ولا يكاد يخسر شيئًا

لكن مستنبط هذه الطريقة باعها لشركة مالية ولا بدَّ من انها تفرض ثمنًا كبيرًا للآلة التي يستحضر الغاز بها فيصير لنور الاسيتيلين ثمن يقابَل بثمن نور الغاز والنور الكهربائي لكنهُ يبقى ارخص منهما جدًّا فان الرطل الذي ثمنهُ غرش واحد من الكربيد يستخرج منهُ خمس اقدام مكعبة من غاز الاسيتيلين . والآلة التي يستحضر بها رخيصة الثمن صغيرة الحجم وهي اسطوانة كبيرة كالبرميل تدار على محورها بعد ان يوضع الكربيد ومادَّة اخرى فيها فيتولَّد منها غاز الاسيتيلين وكل قدم مكعبة منهُ تنير مثل خمس اقدام مكعبة من غاز الضوء العادي

والطريقة القديمة لاستخراج غاز الاسيتيلين كان فيها نقص من وجوه كثيرة عدا ضرر الانفجار فكان الغاز يتولَّد بسرعة في اول الامر ثم يقلُّ تولُّدهُ بسبب اكتساءِ الكربيد بالجير . ولا يتولَّد من رطل الكربيد سوى اربع اقدام مكعبة من الغاز . وكانت المصابيح التي يشعل الغاز فيها تنسدُّ احيانًا كثيرة من تكاثف الابخرة الهيدروكربونية فيها . ويخرج من النور ضباب خفيف بسبب ما فيهِ من الهيدروجين المفصفر وهو غاز سام . ولم يكن في الامكان مزج غاز الاسيتيلين بغاز الضوء العادي ليزيد بهِ نورهُ . ولا كان في الامكان استعمالهُ لادارة الآلات ولا ضغطهُ وحفظهُ في آنية ضيقة . وكان لهُ رائحة خبيثة ولا بدَّ من تنقيتهِ وتطهيرهِ قبل استعمالهِ على ما في ذلك من زيادة النفقة . ويبقى في الاناء الذي يستحضر منهُ فضلات لا فائدة منها . اما سبب انفجارهِ وهو المانع الاكبر لاستعمالهِ فكان من وجود الهيدروجين المفصفر فيهِ وهو يشتعل من نفسهِ في بعض الاحوال ومن اشتداد الحرارة من فعل الماء بالجير (الكلس)

اما الاسلوب الجديد فخالٍ من هذه العيوب كلها لانهُ حالما تمتزج المواد بعضها ببعض يتولَّد غاز الاسيتيلين منها بانتظام تامٍّ حتى لا يبقى منهُ شيءٌ في الكربيد ولا يتولَّد معهُ

هيدروجين مفصفر ولذلك لا داعي لغسل الاسيتيلين حتى يتنقَّى منهُ . والحرارة التي تتولَّد حينئذٍ ضعيفة جدًّا فلا تدعو الى تولُّد البنزين ونحوهِ من المواد التي تتولد بالطريقة العادية . والمواد التي تبقى بعد تولدهِ خالية من كل ضرر ولها ثمن يختلف باختلاف المادة التي تضاف الى الكربيد لتوليدهِ . والمواد التي استعملها المكتشف حتى الآن مختلفة واحدة منها يساوي طنها جنيهين والمادة التي تبقى منها في الاناء يساوي طنها ثلاثين جنيهًا على ما قالهُ المكتشف

وتفوح من غاز الاسيتيلين عادة رائحة خبيثة اذا استُحضر بالطريقة العادية اما اذا استُحضر بهذه الطريقة فتتولد منهُ رائحة طيبة ونورهُ ثابت خالٍ من كل دخان

ويقال ان هذه الطريقة صالحة بنوع خاص لانارة مركبات سكك الحديد والمنائر البحرية والاطواف التي توضع في المرافئ وفي مداخلها لهداية السفن . ويسهل على رجلين ان يحملا آلة يتولد منها نور يساوي نور عشرين الف شمعة . ونور هذا الغاز مثل نور الشمس في سطعانهِ وتركيبهِ فيصلح للتصوير الشمسي . والغاز المستحضر بهذه الطريقة يمتزج بغاز الضوء بسهولة فيزيد بهِ نورهُ

هذا ما ثبت حتى الآن من مزايا هذا الغاز . ويرجح انهُ مما يسهل استعمالهُ لادارة الآلات ولاسيما آلات الاتوموبيل فاذا ثبتت لهُ هذه المزية ايضًا زاد نفعهُ اضعافًا مضاعفةً وقد امتحن المجلس البلدي في مدينة لندن الآلة التي يتولد بها وقرَّر ان استعمالها خالٍ من الضرر

سدود النيل

ان الناظر في الآكام والاراضي المرتفعة على جانبي وادي النيل يرى فيها اصداف الحيوانات البحريَّة واسنان الاسماك دلالة على ان بحر الروم كان يغمر وادي النيل كلهُ وجانبًا من الاراضي المرتفعة على جانبيهِ . والادلة على ذلك كثيرة جدًّا وان لم يوجد الَّا الدليل المتقدم ذكرهُ وهو وجود الاصداف وبقايا الحيوانات البحرية فكفى بهِ دليلاً

ولا بدَّ من ان يقول قائل كيف انحسر ماء البحر من واديهِ ولِمَا انخفض بعد ارتفاعهِ او ارتفع وادي النيل بعد انخفاضهِ . والجواب ان البحر لم ينخفض لان انخفاضهُ امام القطر المصري يقتضي انخفاضهُ حول الكرة الارضيَّة كلها وهذا لم يحدث ولكن وادي النيل ارتفع عن قاع البحر وعن مساواة سطحهِ بفعلين مختلفين الاول فعل الحرارة الارضيَّة والثاني فعل المياه الجارية في النيل . اما الحرارة فانها رفعت الارض في اعالي وادي النيل وحولهُ في العصور الغابرة كما ترفع الآن بعض الجزائر والجبال والسهول في اماكن مختلفة فارتفعت وعلت فوق ماء البحر

بعد ان كانت تحتهُ وبقيت فيها آثار الحيوانات والنباتات البحريَّة دالَّةً على ان البحر كان غامرًا لها مدة عصور طويلة . وبقيت مياهُ البحر غامرةً وادي النيل نفسهُ والنيل يلقي فيهِ الاتربة التي يجرفها من مجاريهِ الى ان ملأَهُ بالرمل والطمي فانحسر البحر عنهُ ولا يزال النيل يجرف هذه الاتربة ويحمل بعضها الى البحر ويلقي البعض الآخر في واديهِ الى هذا اليوم . ويقدَّر ما يحملهُ الآن من الطمي ويلقيهِ في البحر بمئة وخمسين مليون طن او ثمانين مليون متر مكعب كل سنة وكان يحمل اكثر من ذلك كثيرًا في العصور الغابرة . وهو غير منفرد في هذا

الفعل بل ان من الانهار ما يحمل اكثر منهُ فان نهر الكنج ببلاد الهند يحمل كل سنة ٣٧٨ مليون طن ونهر المسسبي باميركا يحمل كل سنة اربعة ملايين مليون طن وهو آخذ الآن في تكوين دلتا مثل دلتا النيل كما ترى في هذا الشكل فان الخط الابيض الغليظ فيهِ هو مجرى نهر المسسبي وهو يتفرَّع عند مصبهِ في البحر الى ثلاثة فروع كبيرة وسيمتلئ ما بين هذه الفروع يومًا ما وما فوقها ايضًا فتصير منها دلتا مثل دلتا النيل

ويظهر لنا مما قرأناهُ عن سدود النيل التي ترى الآن في اعاليهِ في الفرع المسمَّى ببحر الجبل ان سدودًا مثل هذه كان لها اليد الطولى في جمع الرواسب في وادي النيل وتكوين ارض مصر كلها وانهُ اذا تركت هذه السدود الآن في اعالي النيل فلا يبعد ان تسدَّ اكثر فروعهِ الباقية

هناك فيسيح الماء على السهول الفسيحة التي حولها فتمسي بحيرات ومستنقعات يتبخَّر ماؤُها من شدة الحر فيقل الماء الوارد الى مصر ويتغير اقليم بلاد السودان ولذلك فلا بدَّ من ان تتعاون حكومة مصر وحكومة السودان على نزع هذه السدود ومنع تكوُّنها قبلما يعمل عمل آخر في وادي النيل لانها حاجز في الطريق الملاحة ولانهُ يخشى من ان تضرَّ بالري وببلاد الجزيرة كلها

وتبتدئ السدود الآن في بحر الجبل على ٤٣٥ ميلاً من الخرطوم وتمتد جنوباً ٢٥٠ ميلاً فتكون على ٧٥٠ ميلاً من البحيرات الاستوائيَّة التي تجتمع فيها مياهُ الامطار وتغذي نيل مصر بواسطة بحر الجبل المشار اليهِ . وكان هذا البحر خالياً من السدود قبل سنة ١٨٦٣ فكانت السفن تسير فيهِ من غير عائق ولكن تلك السنة جرف الماء كثيراً من النباتات فانسدَّ بها مجراهُ ولم يفتح الاَّ بعد عناء شديد . ثم عاد في السنوات التالية وبقي خطبهُ يتفاقم الى سنة ١٨٧٨ فكان ماء الفيضان غزيراً جدًّا تلك السنة فدفع السدود امامهُ ووسَّع نطاقها فاقتضى نزعها عمَلَ سنتين وقد تكوَّن منها عشرون سدًّا بين كير وبحر العرب . وظلَّت السدود تتكوَّن سنة بعد أُخرى بين زيادة ونقصان الى غرَّة هذا القرن فاهتمت الحكومة المصريَّة بازالتها عملاً بقول السر وليم ولكوكس وذهب السر وليم غارستن وكيل نظارة الاشغال العموميَّة الى هناك سنة ١٩٠٠ لينظر في امرها فانحصرت سفينتهُ بينها ثلاثة ايام متوالية في بحر الجبل

وسبب السد ثلاثة انواع من النبات اهمها نبات البردي الذي كان المصريون الاقدمون يصنعون قرطاسهم منهُ فانهُ يطول هناك ويغلظ حتى يبلغ ارتفاعهُ نحو عشر اقدام وغلظ ساقهِ غلظ الساعد ويكون كثيفاً جدًّا في نموهِ حتى يتعذَّر على الانسان ان يمرَّ بين سوقهِ القائمة . ويتلوهُ نوع من القصب يسمى ام صوف وهو غليظ السوق صلبها. والنبات الثالث تتشعب اغصانهُ بين سوقهما فتكون واياها كالسدى واللحمة في الثوب الصفيق لاسيما وان في هذا النبات شوكاً يمسك سوق البردي وام صوف ويزيدها التحاماً

ويحدث السد في بلاد الهند ويبلغ طولهُ احياناً مئة ميل في مثلها عرضاً ولكنهُ لا ينمو الاَّ حيث يكون الماء راكداً او بطيء الجري جدًّا فاذا اندفع الى اماكن مياهها سريعة السير تمزَّق وضاع فيها بسبب اتساعها العظيم . اما سدود النيل فتدخل مجراهُ قطعاً ولكن الرياح التي ترافق الفيضان تدفعها وتجمعها بعضها مع بعض فتكوّن منها سدًّا كبيراً

وكأن الاحتلال الانكليزي لهذا القطر وزوال حكم الدراويش من السودان جاءا في وقتهما من حيث الاهتمام بامر النيل لازالة السدود منهُ والاَّ فلو تركت تتراكم سنة بعد أُخرى لتفاقم شرُّها ووقع بالقطر المصري منها ضرر لا يقدَّر

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ١٣ ﴾

اسباب المعاش عند العرب

١ً الغزو

اما اسباب المعاش عند العرب فمنها الغزو وشن الغارات فلا يزالون يَنْهَبون ويُنهَبون . قال عروة بن الورد العبسي

خاطرْ بنفسك كي تصيب غنيمةً ان القعود مع العيالِ قبيحُ
المال فيهِ مهابة وتجلَّة والفقر فيهِ ذلَّة وفضوحُ

يريد بالمال الابل والشاء والخيل والحبوب فان العرب كانت تعتبرها مالاً بدليل قول سالم ابن قحطان العنبري

فلم أَرَ مثل الابل مالاً لمقتنٍ ولا مثل ايام الحقوق لها سُبلا

وقول لقيط بن يعمر الايادي في خطاب لقومهِ

لا تثمروا المال للاعداء انهمُ ان يَظهروا يحتووكم والتلاد معا
هيهات لا مال من زرع ولا ابل يُرجَى لغابركم ان أُنفكم جُدِعا

ولنعد الى الكلام عن الغزو فمما يستشهد بهِ على اتخاذهِ ذريعة للاعتياش قول عروة ايضاً

ذريني اطوِّف في البلاد لعلّني اخلّيك او اغنيك عن سوء محضري

وقول قيس بن حصين بن يزيد الحارثي

أَكلَّ عام نَعَم تحوونهُ يلقحهُ قوم وتنتجونهُ

وكانت الغزاة لا يلازمون للغزو جهة واحدة بدليل قول عروة

فيوماً على نجد وغارات اهلها ويوماً بارض ذات شث وعرعرِ (١)

٢ً الاتجار

ومن اسباب المعاش عندهم الاتجار قال الاسود بن يعفر

حتى تناولها صهباء صافية يرشو التجار عليها والتراجيما

وهذا دليل ان العرب كانوا يخالطون سواهم من الامم ويقصدونهم الى بلادهم فيبيعونهم

(١) الشث شجر والعرعر شجر آخر هو السرو

ويبتاعون منهم ويحتاجون الى التراجم للتفاهم بين الفريقين . وقد جاء النصُّ بالتجارة صريحاً في قول لبيد بن ربيعة العامري

حسبت التقى والجود خير تجارة ... رباحاً اذا ما المرء اصبح ثاقلا(٢)

وكانت تجارتهم في الماشية والملابس والخمر والسلاح والحبوب والرقيق. وقد سبق لنا ايراد الشواهد المحققة انهم كانوا يستجلبون بعض ملابسهم من انطاكية ومصر وفارس فضلاً عمَّا كان ينسج في اليمن والعراق من الوصائل والبرود

واما الخمر فمنها ما كانوا يجتلبونهُ من اندرين . قال عمرو بن كلثوم التغلبي

ألاَ هبي بصحنكِ فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الاندرينا

واندرين لم تزل آهلة حتى الآن وموقعها في لواء مرعش من ولاية حلب وهي الآن قصبة قضاء يُعرَف باسمها . ومنها ما كان يجتلب من بصرى وهي قرية من حوران قال النابغة الذبياني

كأَن مشعشعاً من خمر بصرى ... نمتهُ البخت مشدود الختامِ

نمين قلالهُ من بيت راسٍ ... الى لقمان في سوق مقامِ

وهذا القول يدل على انهُ كان للخمرة سوق مخصصة بها

ومنها ما يستجلب من بيسان قال حسان بن ثابت

من خمر بيسان تخيَّرتها ... درياقة توشك فتر العظامْ

ومنها ما يستجلب من بابل قال الاعشي

وسبيئة مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها(٣)

وقال عبيد بن الابرص

ظلَتُ بها كانني شارب ... صهباء مَّما عتقت بابلُ

ومنها ما كان يجتلب من خص وهي بلد في الشام قال امرؤ القيس

كأَن التجار اصعدوا بسبيئة ... من الخص حتى انزلوها على يسر(٤)

ومنها ما كان يجتلب من شبام وهو موضع بالشام ومنهُ ما كان يجتلب من عانة وهي قرية على الفرات فوق هيت التي ذكرها المعري في قولهِ "هات الحديث عن الزوراء او هيتا" قال امرؤ القيس

انف كاون دم الغزال معتق ... من خمر عانة او كروم شبامِ

ومن اذرعات وهي قرية في حوران ووادي جَدَر وهي موضع بالشام قال ابو ذؤيب

(٢) ثقل المريض اذا اشتد مرضهُ (٣) السبيئة الخمرة (٤) بلد في اليمن قطنه امرؤ القيس

فما ان رحيق سبتها التجا رُ من اذرعات فوادي جَدَر

اما للبيع فكانوا يقصدون مكة واسواقاً يقيمونها لهذه الغاية . ومن الادلة على ذلك قول مخلب الهلالي

وجدتُ لها وجْد الذي ضل نضوهُ بمكة يوماً والرفاق نزولُ (٥)

الى ان يقول

فبيناهُ يشري رحلهُ قال قائل لمن جمل رخو الملاط ذلولُ (٦)

وقال قيس بن زهير ملك بني عبس

ألم يأتيكِ والانباء تنمي بما لاقت قلوص بني زيادِ (٧)

ومحبسها على القرشيّ تشرى بادراع واسيافٍ حدادِ

وفي قولهِ دليل اشتراء السلاح بالابل في مكة لأن بني قريش هم سكّان مكة . وقال النابغة الذبياني

كادت تساقطني رحلي وميثرتي بذي المجاز ولم تحسس بهِ نغما (٨)

من صوت حرميّة قال وقد ظعنوا هل في مخفكم من يشتري أدما (٩)

قلتُ لها وهي تسعى تحت لبّتها لاتحطمنكِ ان البين قد رزما (١٠)

باتت ثلاث ليالٍ ثم واحدة بذي المجاز تراعي منزلاً زيما (١)

فدلّ قولهُ على ان ذا المجاز موضع للبيع بقرب مكة وان العرب كانوا يقيمون سوقهُ اربعة ايام متواصلة

وكانوا يأتون بالبضائع ضمن نطع من جلد ذي سيور تحزَم بهِ قال النابغة الذبياني

على ظهر مِبناة جديد سيورها يطيف بها وسط اللطيمة بائعُ (٢)

واللطيمة سوق على ما ذهب اليهِ ابو عمرو كذا في شرح ديوان النابغة . واما لسان العرب فينسب هذا القول الى الليث . وقال ثعلب انهُ انشد ابن الاعرابي لعاهان بن كعب بن عمرو ابن سعد قولهُ

اذا اصطكت بضيق حُجْرتاها تلاقى العسجديةُ واللطيمُ

(٥) المهزول من الابل (٦) الملاط جانبا السنام و يشري يبيع (٧) القلوص من الابل الشامية
(٨) الميثرة السرج وذو المجاز احد مواسم العرب الخمسة وهي ذو المجاز والمجنة ومنى وعكاظ وحنين
(٩) حرمية منسوبة الي المحزم والادم الجلد (١٠) اللبة الصدر (١) زيماً اي ذا فرق
(٢) المبناة النطع وهو بساط من جلد

فقال : العسجدية ابل منسوبة الي سوقٍ يكون فيها العسجد . فاذن كان للذهب سوقٌ يباع بها على رؤوس الاشهاد وكذلك كان للطيمة

ويمكننا الاستدلال على شأن التجارة عند العرب من ماجرياتهم التجارية فمن ذلك (الاستبضاع) من ارضٍ الى اخرى قال خارجة بن ضرار المري

وانك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضع تمرًا الى ارض خيبرا

(والمداينة) قال عنترة العبسي

اذا خصمي تقاضاني بدَينٍ وفيتُ الدينَ بالرمح الرديني

واوضح من ذلك ما جاء في شعر ابي ذؤيب الهذلي وهو قوله

ادان وأنبأهُ الأوَّلون بأنَّ المدين مليٌّ وفيٌّ

وقال معن بن أوس

اخذتُ بعين المال حتى نهكتهُ وبالدين حتى ما اكادُ أُدانُ

وحتى سألتُ القرضَ عند ذوي الغنى وردَّ فلانٌ حاجتي وفلانُ

وقالت امرأة ابن مية وهو جار للزبرقان قتل في جوارهِ

اجيران ابن ميَّة اخبروني أعَينٌ لابن مية ام ضمارُ

والعين النقد والضمار الدين الذي لا يرجى وفاؤهُ . وقال الراعي

وأنضاءِ أُنخنَ الى سعيد طروقًا ثم عجَّلن ابتكارا

حمدنَ مزارهُ فأُصبنَ منهُ عطاءً لم يكن عدةً ضمارا

(والاستقالة) وهي الرجوع في المبيع قال بعض عوف بن سعد "بيع امرىءٍ ليس بمستقيل"

(والدلالة) قال عنترة العبسي

حصاني كان دلاَّل المنايا نخاض غبارها وشرى وباعا

(والتقسيط) وهو دفع الاثمان قسوطًا في اوقات معينة ويسمَّى التنجيم ايضًا قال زهير بن ابي سلمى المزني

تعفَّى الكلام بالمئين فاصبحت ينجّمها من ليس فيها بمجرمِ

ينجمها قوم لقوم غرامةً ولم يهرقوا ما بينهم ملءَ محجمِ

(والرهن) قال زهير بن ابي سلمى

وفارقتك برهنٍ لا فكاك لهُ يوم الوداعِ فامسى رهنُها غلقا

وقال قعنب بن ام صاحب

باتت سليمى فامسى دونها عَدَنُ وغلقت عندها من قلبك الرُّهُنُ

واستعمالهم (الوزن والمكايلة) دليل اتجارهم بالحبوب وسواها قال زهير بن ابي سلمى

لو يعدلون بوزن او مكايلة مالوا برضوى ولم يعدل بهم أحدُ

وقال الاخطل التغلبي

واذا وضعت اباك في ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزانِ

ولا يخفى ان بعض لجان البلديات في عصرنا الحاضر تضع مكساً على ما يؤتى بهِ الى الاسواق ليباع والحكومات ايضاً تضع مكساً على ما يرد اليها من الخارج او ما تنشئهُ معاملها وكأني بملوك العراق قد ادركوا ذلك فضربوا على الاسواق اتاوة كانوا يتقاضونها من المتبايعين بواسطة اتباع لهم قال جابر بن حني الثعلبي

افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كلّ ما باع امرؤٌ مكسُ درهمِ

الا ينتهي عنا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوءِ الدمُ بالدمِ

تعاطى الملوك السلم ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرَّمِ (٣)

ولم تكتفِ الملوك بوضع الاتاوة على الاسواق فقد وضعوها على المراعي قال خراش ابن زهير

فاني دليل غير معطٍ اتاوة على نعم ترعى حوالاً وأجربا (٤)

٣ً القيام على الماشية

ومن معايش العرب القيام على الماشية كالابل والشاء والماعز . قال امرؤ القيس في المعزى

ألا إلاَّ تكن ابلاً فمعزى كأنَّ قرون جلّتها عصيُّ

فتملأ بيتنا اقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وريُّ

والاقط مثلث الاول الجبن المتخذ من اللبن الحامض . وقال عمرو بن كلثوم التغلبي في الابل

فما ابقت الايام مالمال عندنا سوى جذم اذواد محذقة النسلِ (٥)

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا واقواتنا وما نسوق الى القتلِ

(٣) ما قصدوا ما عدلوا . وفي البيت إخلال بحذف ما يجب اثباته لتمام المعنى اي وليس علينا قتلهم بمجرم اذا لم يقصدوا بنا فهو من هذا الباب كقول الحارث بن حلزة اليشكري

والعيش خير في ظلا لِ الجهل ممن عاش كدًّا

اي عاش كدًّا في ظلال العقل (٤) حوال واجرب محلاَّن

(٥) ملمال اي من المال وجذم الشيء اصلهُ والاذواد جمع ذود من ثلاث الى الثلاثين

وفي البيت الثاني شاهد على بحث آخر وهو ان قبائل البدو كانوا يستجلبون الحبوب من الحضريين . قال المتلمس

آليتَ حبَّ العراق الدهر اطعمهُ والحبّ يأكلهُ في القرية السوسُ (٦)
لم تدرِ بصرى بما آليت من قسمٍ ولادمشق اذا ديس الكراديس (٧)

والبيتان في خطاب عمرو بن هند احد ملوك اللخميين (المناذرة) وكان عمرو قد اقسم انهُ لا يدع المتلمس يذوق حب العراق اي قمح العراق . فاخبرهُ الشاعر عن قمح حوران وقمح دمشق . ومن هنا نستنتج ان البدو كانوا يجتلبون القمح من القطرين العراقي والشامي

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول : لم يكن كل العرب في غنى وسعة فيقتنوا الاماء والعبيد لخدمة البيوت والماشية فكان بعضهم يخدمون انفسهم وبعضهم يستخدمون وبعضهم يخدمون سواهم من ذوي السعة . قال الفرزدق يذكر جريرًا باستخدام انسبائهِ عند ابائهِ (اي اباء الفرزدق)

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

وقال سليك بن سلكه

اشاب الرأس مني كل يوم ارى لي خالة وسط الرحالِ
يشقُّ عليَّ ان يلقين ضيمًا ويقصر عن تخلُّصهنَّ مالي

وقال الاخطل يذكر جريرًا برعيهِ الشاء

فانعقْ بضأنك يا جرير فانما منَّتك نفسك في الخلاء مُحالا

٤ً الصنائع

ومن اسباب المعاش عندهم احتراف الصنائع ولم يكن ذلك مما يمدحونهُ فان اشرافهم كانوا لا يرون مهنة الَّا الغزو والسلب والنكاية بالعدو او الاقتصاص منهُ كما صرَّح دريد بن الصمَّة في قولهِ

يُغار علينا واترين فيشتفى بنا ان أُصبنا او نغير على وترِ
بذاك قسمنا الدهر شطرين بيننا فما ينقضي الَّا ونحن على شطرِ

اي انهم تارة يغيرون وطورًا يغار عليهم فما يتفرَّغون من الغزو الَّا لدفع العدو

ولكن قد ورد في الشعر ما دلَّ على ان بعضهم كانوا يمتهنون الحرف فمن حرفهم (النساجة) ودليلنا ما ذكرهُ ذو الاصبع العدواني

(٦) اطعمهُ اي لا اطعمهُ والمراد بالحب هنا البرُّ اي القمح
(٧) الكراديس جمع كردوس وهي القطعة العظيمة

يرى يرفل في بردين من ابراد نجرانا

وكان العراقيون معروفين بالنساجة كما اوردنا لربيعة بن مقروم

على الاحداج واستشعرنَ ريطاً عراقيّاً وقسيّاً مصونا

وكما قال عمرو بن كلثوم التغلبي « مَن بالخورنق من قين ونسَّاجِ »

واشار دريد بن الصمة الى صناعة الحياكة بقولهِ

فجئتُ اليهِ والرماح تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيج الممدَّدِ [٨]

وكانت النساء ايضاً يشتغلن بالنساجة وقد ورد في شواهد لسان العرب

وعليهِ التحمي نسجهُ من نسج هورمْ

غزلتهُ ام حلمى كلّ يوم وزن درهم

وقال سحيم عبد بني الحسحاس

فاصبحت الثيران غرقى واصبحت نساء تميم يلتقطن الصياصيا

فقد ذهب الى ان رجال تميم نسَّاجون فنساؤُهم يلتقطنَ لهم الصياصي ليحفزوا بها الغزل . ولم تكن الحياكة مقتصرة على الملابس فقد اشتهرت الحيرة بحياكة الطنافس وطنافسها تسمّى رحالاً قال الاعشى

ومصاب غادية كأن تجارها نشرت عليهِ برودها ورحالها [٩]

وقد سفُّوا [١٠] خوص بعض الاشجار كالدوم قال تميم بن مقبل

اذا الامعز المحزوُّ آض كأنهُ من الحرّ في حد الظهيرة مِسْطَحُ [١]

اما نساؤهم فكنّ ينسجن البرود كما تقدم الشاهد . والنمارق والبسط قال ذو الرمَّة

وبالروض مكنان كأن حديقهُ زرابيُّ وشَّتها اكفُّ الصوانعِ [٢]

والحصر . قال النابغة الذبياني

كأنّ مجرّ الرامسات ذيولها عليهِ حصير نمَّقتهُ الصوانعُ

وكنّ يغزلنَ الصوف . قال النابغة ايضاً

وعرّيتُ من مال وخير جمعتهُ كما عرّيتْ ممّا تمرُّ المغازلُ

---

(٨) الصياصي جمع صيصة وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السدى

(٩) الرحل الطنافس الحيرية (١٠) سفوا نسجوا . الخوص ورق بعض الاشجار

(١) المحزو المزجور آض آب والمسطح حصير يسف من خوص الدوم

(٢) المكنان من بقول الربيع الزرابي جمع زربية وهي الطنفسة المخملة او البساط الفاخر والبساط قد يكون من ورق السمر

ومن حرفهم (الصباغة) قال الاعشى

بكأس وابريق كأنَّ شرابها اذا صبَّ في المسحاة خالط بقَّما (٣)

والبقَّم صباغ معروف وهو العندم . وقال العجاج

بطعنة نجلاء فيها ألمهْ يجيش ما بين تراقيهِ دمهْ كمرجل الصبَّاغ جاش بقمة

ومن حرفهم (الدباغة) قال ذو الرمَّة

ما بال عينيك منها الدمع ينسكبُ كأنهُ من كلى مغرية سرِبُ

وفراء غرفية اثأى خوارزها مشنشل ضيَّعتهُ بينها الكتبُ

والمغرية المزادة والوفراء الضخمة والغرفية المدبوغة بالغرف . قال ابو عمرو هو الارطى مع التمر والملح يُدبَغ بهِ. وكان لهم بالجلود عناية واشتغال فضلاً عن الدباغة قال القطامي

ولكنَّ الاديم اذا تغرى بلى وتعيُّباً غلب الصناعا (٤)

ومن حرفهم (النجارة) وقد ذكر الراعي عمل الهوادج بقولهِ

يخيَّلن من أثل الوريعة وانتحى لها القينُ يعقوب بفأسٍ ومبرَدِ (٥)

وقد نسب امرؤُ القيس الى حميَر عمل الحقاق (وهي اوعية من خشب) حيث قال

وريح سنا في حُقة حِميَرية تخص بمفروك من المسك اذفرا

وكانوا يتخذون التروس من الخشب قال النابغة الجعدي

لُطِمنَ بترس شديد الصفا ق من خشب الجوز لم يثْقبِ

وهذا دليل اشتغالهم بالنجارة . وجاء ذكر بعض ادوات النجارة في شعرهم قال خداش بن زهير

يحدون اقرانهم في كل معتركٍ طعناً وضرباً كشق بالمناشير

ومن حرفهم (الحدادة) قال عمرو بن كلثوم التغلبي

اذ لا ترجي سليمى ان يكون لها من بالخورنق من قينٍ ونسَّاجِ

وقال النابغة الذبياني في صفة ثور وحشي

مولي الريح رَوقيهِ وجبهتهُ كالهيرقي تنحَّى ينفخ الفحَما (٦)

والهيرقي الحداد وادلُّ من ذلك قولهُ

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قمصاء ذائلِ (٧)

(٣) كذا رواية البيت في معجم لسان العرب مادة بقم وقد فسر المسحاة بالمجرفة من حديد

(٤) تغرى انشق. الصناع الحاذق في الصنعة (٥) الوريعة محل . القين الحداد ويطلق ايضاً على كل صانع وهو هنا من ذلك (٦) روقيه قرنيه (٧) النثله الدرع

والقمصاء الدرع والذائل ذو الذيل (وقمصاء ذائل على الاضافة) فنسبة نسج الدرع الى سليم دلالة على انهم يعرفون الحدادة . ولنا من هنا ان نستخلص ان النثلة الصموت وهي الدرع المسبوكة وان القمصاء ذات الحلق كما يقرر ذلك المعجم. واحتراف عمل الاولى كان معروفاً في اليمن واحتراف عمل الثانية كان في بني سليم. واشار امية بن خلف الى معرفة اليمنيين بالحدادة في قولهِ

يمانيًا يظل يشد كيرًا ويَنفخ دائمًا لهب الشواظِ

وذكر لسان العرب ان ابن الكلبي قال . " اول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة وكان حداداً نُسب اليهِ الحداد فقيل الهالكيّ ولذلك قيل لبني اسد القيون وقال لبيد

جُنوحَ الهالكي على يديهِ مكبًّا يجتلي نُقَبَ النصالِ "

والسيوف المشرفية منسوبة الى مشارف قرى من ارض اليمن تعمل اهلها السيوف

ومن صنائعهم (استخراج المعادن) وقد جاء في تفسير قول عمرو بن قعَّاس المرادي

الا رجلاً جزاهُ الله خيرًا يدلُّ على محصّلة تبيتُ (٨)

ان المحصلة هي التي تحصل تراب المعادن . والتحصيل هو استخراج الذهب من حجر المعدن . وقال ربيعة بن مقروم

هجان الحيّ كالذهب المصفّى صبيحة ديمةٍ يجنيهِ جانِ

قال شارح ديوان الحماسة عند تفسيرهِ هذا البيت : ان معدن الذهب بناحية اليمن اذا اشتد المطر عليهِ جلاهُ فصار لهُ بريق يُرى من بعيد وسهل على ملتمسهِ لقطهُ

ومن صنائعهم (الغياصة) وقد وصف الاعشى الغوص بقصيدة طويلة تعدُّ من بدائع نظمهِ منها

كجمانة البحريّ جاء بها غواصُها من لجة البحرِ

نصف النهار الماء غامرهُ ورفيقهُ بالغيب لا يدري

وهذه الحرفة لا تكون الّا لأُمة تركب البحار والامة العربيَّة قد استعملت السفن بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا كذاك البحر نملاهُ سفينا

امين ظاهر خير الله

(٨) من شك في البيت فليراجع الصفحة ٤٦٠ من الجزء الاول من كتاب خزانة الادب للبغدادي وصفحة ٦٦ من حاشية الامير على الجزء الاول من مغني اللبيب

ناموس النشوء في تقدم العمران

قد انتهى بنا الكلام الى النظر العام في ناموس التقدم الاجتماعي على ما استخرجناهُ من مجرى الوقائع التاريخيَّة وايدتهُ حقائق علم الحياة . وقد ظهر لنا في خلال البحث صحة القضية السابقة وهي ان التقدم في كلا الدائرتين الاجتماعية والحيوية جارٍ على طريقة التلاؤم والتوازُن بين الحالة الداخلية وبين المحيط . فتعيَّن علينا بعد ذلك النظر الخاص في مسألتين الاولى وجوه المطابقة والمشابهة بين النشوئين الاجتماعي والحيوي والثانية الوجوه التي يختلفان فيها

اولاً ان النشوئين كليهما يتفقان في ناموس النشوء الكوني الشامل الذي استخرجهُ الفيلسوف سبنسر وهو ان التقدُّم يقوم بادئ ذي بدءٍ بامرين وهما اجتماع طوائف قليلة بسيطة التركيب وانضمامها قبائل اوسع حدوداً واكثر تركبًا في وظائفها وعلائقها ثم التدرُّج في زوال المبادىء الاخلاقية المائلة الى التفرُّق والانفصال مع تغلُّب المبادىء الآيلة الى الانضمام والتلاحم

ثانيًا ان النشوئين كليهما يشتركان في ان ارتقاء البسيط الى المركب يقوم بالتقدم من الصور المتماثلة المطلقة الحدود الى الصور المختلفة المحددة البناء والوظيفة

وقد اوضح ذلك العلاَّمة السر هنري ماين في بحثهِ الاجتماعي بقولهِ ان العائلة في ازمان التاريخ الاولى كانت هي مركز العقد الاجتماعي لا الفرد كما هي اليوم . فكان كبير كل عائلة في منزلة ملك مستقل على وجه بسيط يجمع في شخصهِ وظائف الملك والكاهن والقاضي ومجلس القضاء . ومع ذلك لم يكن ممتازًا عن اولادهِ وزوجاتهِ واخوتهِ الذين هم رعيتهُ في القيام باعمال المعاش كالحفر والنجارة والنحاتة وما شاكل ذلك . كذلك كان حال الصناعة في امر البساطة والتماثل . ففي القبيلة المتوحشة كانت دوائر الاعمال ضيقة الحدود بحيث كان الفرد يقوم بنفسهِ بكثير من الصنائع . فكان كل رجل قصابًا وخبَّازًا وخياطًا ونجارًا وحدادًا . ثم في صعود العشيرة في سلَّم التقدم اخذت الاعمال بالتوزُّع فالتنوُّع فالاستقلال فالاستكمال . فانهُ يظهر لكل ذي المام من طلبة التاريخ انهُ مع تقدم التمدُّن لم يكن اختلاف الاعمال مقصورًا على امر توزُّعها بين العمَّال الكثيرين بل كان شاملاً لطرق العمل واساليبهِ وادواتهِ . ويتضح من المقابلة بين ادوات القرون الوسطى وآلات العصور الحديثة ان الفارق العام بين الفريقين انما هو التقدم باختلاف الانواع والاشكال والصور وتعيُّن الحدود الفاصلة بين المتماثلات . فكل من عارض الآلة البخاريَّة العصرية بالبكرات والبراغي والامخال وما شاكلها على ما كانت عليهِ لالف عام تبيَّن لهُ ان تجدُّد الاغراض والحاجات الى مصنوعات جديدة انشأ الاختلافات في اسلوب الصناعة

وادواتها. ولا تبرح هذه الاختلافات وتلك الحاجات المتعاقبة رهينة الظهور والتجدُّد يوماً بعد يوم الى ان تبلغ الحضارة اوجها الاعلى ان قُدِّر لها هذا البلوغ

واسلوب هذا التقدم ينجلي ايضاً في تفرُّع دوائر الاحكام والقضاء وتنوُّعها . فلنا من لسان التاريخ اصرح بيان انهُ حين حصول تنوُّع في حكم القبيل كانت بعض العيال ترتقي منفردةً بالسلطة والسيادة وغيرها ينحطُّ الى طبقة السوقة والرعيَّة. ثم كان الترقي السياسي يصعد متدرجاً من انضمام العيال قبائل الى تكوُّن القبائل المتجاورة شعباً الى اتحاد الشعوب المتناسبة وانضوائها تحت لواء واحد سياسي على ما يشاهد في الايام المتأخرة . ويتلو هذا التقدُّم السياسي التقدُّم القضائي فقد انقسمت الهيئة الحاكمة اولاً الى سلطة زمنيَّة وسلطة روحيَّة وبجانب كل من هذين القسمين كان ينشأُ على وجهٍ غير محسوسٍ سلطة ثالثة تتولى النظر في الامور الاهلية والاجتماعيَّة مما لا تقلُّ اهميتهُ عن تلك وان قلَّت عنها في احكام النظام واجراء القضاء

ثم نرى التقدم واضحاً ايضاً في تنوع الاحكام الدينية والمدنيَّة من المقابلة بين الكهنوت التاريخي القديم وبين الكهنوت في القرون الوسطى بما حدث في هذا الاخير من وفرة تفرُّع الوظائف وتوزعها . وكذا قُلْ في ما نشأَ من انقسام الاحكام الزمنيَّة الى دوائر تشريعية وتنفيذيَّة وقضائية . وانقسام كل من هذه الاقسام الاصلية الى اقسام فرعية يطول بيانها . وحاصل القول ان التقدم الاجتماعي في امور الاحكام لم يحِدْ عن حدّ "الناموس العام" اي تفرُّع فتنوُّع فاستقلال فاستكمال . او نشوءٌ من بسيطٍ متماثل الصور متداخل الحدود الى مركَّب مختلف الاشكال متميز الحدود

ثم ان اسلوب "الارتقاء الاجتماعي" لا ينحصر في ما ذكر من امر التفرُّع والتنوُّع وتكامل الانواع بل انهُ بينما هو يسير على هذا السبيل يزداد معهُ استعداد الامة لمطابقة الحاجات الطارئة القاضية عليها بدوام التقدم والارتقاء . وهذه المطابقة تشاهد في ارتقاء الامة العلمي والفكري والادبي كما يرى في دوائر الزراعة والصناعة والتجارة . فان عقليات الامة ومدركاتها تلاحق مقتضيات احوالها الخارجية خطوةً خطوةً وكذلك التقدم الادبي في اسمى درجاتهِ فانهُ ليس الَّا مطابقة رغائب الفرد للمطالب الصادرة من رغائب افراد جيرتهِ وقبيلتهِ الناشئة مع رغائبهِ المشاركة لها في زمان الوجود

من هذه الوجوه رأَينا تمام الوفاق بين تقدم الاجتماع وارتقاء الاحياء الى حدٍّ كان خافياً على قدماء الباحثين في المقابلة بين القبيلين من زمن افلاطون الى عهدٍ غير بعيد فنتقدم الآن الى مزيد البيان في العلاقة بين الامة والمحيط مما يلذُّ دارس التاريخ لذةً لم ينلها في سرد

الوقائع ويلقي في تفسيرها نورًا لم تكتحل عيناهُ بمرآهُ في اسفار الاخبار

قد رأينا ان اسلوب التقدُّم ذو وجهين وهما اشتقاق الانواع من الاجناس البسيطة واستعدادها لمطابقة المحيط المرتقي و يعبَّر عنهما بقولنا ان تنوُّع احوال المحيط هو علة التقدم الاجتماعي ومقياسهُ . ومن ذلك يُستدلُّ على زيادة السرعة في تقدُّم التمدن الحديث عليها في القديم . قال السر تشارلس لَيل "انَّا نرى في ايامنا ان معدَّل التقدُّم في الصنائع والفنون يزيد بزيادة المعارف على نسبة هندسية . وكذلك اذا رجعنا القهقرى تاريخيًّا نرى معدَّل التأخر على تلك النسبة ايضًا . فالتقدم في اثناء الف سنة في الازمنة السالفة يقابل تقدم قرنٍ واحدٍ من القرون الحديثة ...."

وبيانهُ انهُ كلما ارتقى الحيّ في كثرة انواعهِ وتفرُّع وظائفها قوي استعدادهُ لموازنة المحيط المرتقي وازداد معدَّل سرعتهِ فيها . وتاريخ التقدُّم الاجتماعي ينطبق على هذه القاعدة كل الانطباق . ففي اوائل التاريخ البشري كان محيطهُ على شدة البساطة لبساطة الحالة السياسيَّة . ولما كان تمازج الشعوب على قلتهِ في هاتيك الازمان لم يكن اقتباس العوائد والافكار المتبادل الَّا قليلاً . فكان شوط التقدم لذلك على اشدّ البسط . ولكنهُ لما تكاثر التنوُّع في محيط الامم الحديثة اسرع معدَّل لحاقها لهذا المحيط حفظًا للتوازن السابق الذكر . فاليوناني القديم مثلاً لم يكن مديونًا في تقدمهِ لاختراع في بلاد الصين ولا استفادت فلسفتهُ شيئًا من افكار اهل الهند واما في هذه الازمنة المتأخرة فلا يكاد حادث ما يحدث في طرفٍ من اطراف المعمور حتى يذيع امرهُ ويلحق صداهُ سائر الاطراف ويؤثر في محيطاتها الاجتماعية . ولذا ترى الآن ان محيط اوربا المادّي الحديث ممتد التأثير الى قسم عظيم من الارض . واما محيطها الاخلاقي فاوسع انتشارًا وامتدادًا حتى يوشك ان لا يُعرف لهُ حدٌّ يوقف عندهُ . وكذلك ارتقاء محيطها هي (اي اوربا) لا يخلو من كونهِ مديونًا لمحدثات محيط اميركا المتعددة الجهات بل ان كثيرًا من المقاصد والتدابير التي يعزم الاوربي على اتخاذها للاعوام المستقبلة مبنيَّةٌ على تأثير المحيط السابق لقرون عديدة . وعلى هذا الوجه يوضَح التأثير العجيب الناشىء عن الحوادث التاريخيَّة السالفة في ارتقاء التمدُّن بواسطة تمازج الأُمم المتباعدة البقاع المتباينة الاخلاق والطباع . وحسبنُا شاهدًا على ذلك حروب الاسكندر وامتداد المملكة الرومانية والفتح الاسلامي والحروب الصليبيَّة وسفرات كولمبس ومجلاّن ودي غاما . وممَّا يلحق بذلك اختراع الطباعة وسرعة تواصل الافكار والآراء بازدياد سرعة المواصلات وما نشأ عن ذلك من ارتقاء المدنيَّة والحضارة بفضل الكهربائيَّة والبخار

قد ثبت لنا من تطبيق ما مرَّ من المبادئ المستخرجة على مجرى الحوادث التاريخيَّة العامّ امران الاول ان تنوُّع المحيط الاجتماعي هو الباعث على ملاحقة الامة لهُ في الاخلاقيات والعقليات . والثاني ان علة تنوع هذا المحيط هي ازدياد الاختلاط والامتزاج بين الأُمم التي كان شأنها الافتراق والانفراد . وذلك يمهّد لنا السبيل لشيءٍ من التفصيل في اسلوب الازدياد في هذا الاختلاط المتبادل مبنيٍّ على المشابهة بين حياة الاحياء وحياة الاجتماع . وهذه المشابهة بين الحياتين هي الضالَّة المنشودة والغرض الاقصى الذي نرمي اليهِ في هذا البحث

اول امرٍ تنبغي ملاحظتهُ في هذا الشأن هو ان الاحياء الدنيا او ما يليها ليست الاَّ حُويصلات بسيطة فقد اوضح اهل العلم من تشريح المقابلة ان التقدم التشريحي في مملكتي الحيوان والنبات يقوم اولاً بانضمام هذه الحويصلات البسيطة الى مجتمعات اعلى بناءً وتركيباً

وهذه القاعدة هي نفس ما يثبت تاريخ التقدُّم الاجتماعي بلا تخلفٍ ولا شذوذ . واوضح دليل عليهِ ما ثبت للسر هنري ماين في ابحاثهِ عن آراء القدماء في المُلْك وصكوك المبايعات وحجج الوصيَّة المتوارثة وشرائع العقاب قال

"لم تكن الامة في قديم العصور كما هي اليوم اي عبارةً عن آحاد مستقلَّة الحقوق الشخصية انما كانت في حقيقة الامر مجموعاتٍ من العيال . واذا رمنا التحقيق في ايضاح الفرق عبَّرنا عنهُ بقولنا ان فرد ذلك المجموع كان عند الامم القديمة العائلة وهو اليوم الشخص الواحد . وفوق ذلك فان حكومة العائلة لم تكن تحظر استقلال الفرد فقط بحقوقهِ الشخصية بل كانت تمنع ايضاً سيادة الجمهور . فالحكَم الوحيد كان رئيس العائلة وسيّدها . وبعد ان خطا العمران بعض الخطوات جعلت العيال المتجانسة نسباً تتحد فتصير قبائل او عشائر اذ لم تكن الجامعة لذلك العهد سوى القرابة الدمويَّة . ثم لما تجاوز العمران هذه المرحلة اتَّسع نطاق هذه الرابطة فاخذ أُدعياءُ هذه القربى ينضمون الى العشيرة بما كانوا يدَّعون من اتصال النسب بسالف الاجداد . وان المطالع ليجد أمثلةً لهذه الحال الاجتماعيَّة في انحاءٍ مختلفةٍ من الارض ولا يزال يشاهدها في القبائل المتوحشة الباقية الى هذا العهد"

فمن هذا يظهر ان اسلوب النموّ والتكامل واحد جوهريًّا في ارتقاء الاحياء وتقدُّم العمران. فالدرجة الاولى الواضحة في تكوُّن الامم هي انضمام العشيرة او القبيل ويقابلهُ انضمام افراد الحيوانات الدنيا في مجموعات تزيد عنها بخصائص قليلة في البناء والوظيفة . ففي هذه الدرجة لا يبعد التركيب الاجتماعي الاَّ خطوةً واحدةً عن حال الاستبداد والتشويش الذي كان صفةً عامَّةً في حياة المتوحشين. فالتخوُّف والضغائن والاحقاد والمكايد والانتقام كانت خصائص

العلائق المتبادلة بين الناس في الدور الاول لاجتماعهم اي ان روح العداء كانت القاعدة المطردة والسلام شذوذًا عنها وفقًا لما سبق بيانهُ في بعض اقسام هذه المقالة من ان محبة الذات كانت العنصر المفرّق الغالب على المبدإ المقرّب الجامع

واما الدور الثاني في تقدم هذا الاجتماع فكان انضمام القبائل الى شعوب مدنيَّة اوسياسيَّة وقد طال أمد هذا الدور الاجتماعي ولم تزل آثارهُ في امتي اليونان والرومان حتى محاها التنوُّع والعلائق الداخلية وتكاثر الوظائف وتوزعها على ما علمت بما نشأ من تكامل تلك الفروع كما يعهد في شركات الاجيال المتوسطة و يشاهد على اتمهِ في شركات هذا العصر الصناعيَّة التي هي من اشهر مميزاتهِ

ثم ارتقت هذه الحال الاجتماعية الى درجةٍ ثالثةٍ وهي اتحاد الشعوب المتقاربة اممًا سياسيَّةً ومثالهُ اتحاد الامة الفرنساوية بعد ان كانت مجموع مقاطعاتٍ مستقلة . وهذه الخطوة الثالثة ضرورية في شوط التقدُّم الاجتماعي المستمرّ . فقد اشرنا في خلال كلامنا السابق الى ان التعجُّل في اطراح مبدإ الاستقلال النوعي واتخاذ مبدإ الحكومة الشعبيَّة العامة قبل اتمام التهيء لهُ كان يقضي على الامم باضطراب الحال . ونزيد هنا شاهدًا على ذلك من تاريخ اليونان فانهُ لما حاولت المدن البحريَّة ذاك الاتحاد العام تحت رئاسة اثينا لم يتسنَّ لها إبرامهُ بما اعترضهُ من الحروب البيلوبونيسيَّة دلالةً علي ان مبدأ الحكم الذاتي كان لا يزال الى ذاك العهد مستحكمًا في نفوس القبائل وان روح التمدن الجامع للامة لم يكن بعدُ بالغًا طور القوة والنماء وكان اول ما ظهر من آثار هذا الطور في امة الرومان ذلك ان رومية بضمّها جميع القبائل المتفرقة على حدود بحر الروم تحت لواء الوطنيَّة الجامعة وبمنحها الامتيازات الرومانيَّة تمَّت لها الغلبة الاخيرة على روح الاستقلال النوعي حتى اخمدت انفاسهُ ولم يستطع بعد ذلك حراكًا

ثم اخذ عنصر الوطنية الجامعة يتدرَّج في معارج القوَّة والاشتداد بما رافقهُ من تنوُّع النمو الداخلي المارّ الذكر حتى بلغ من النماء طورًا كان من اعظم الممهدات في سبيل انتشار الديانة المسيحيَّة على ما مرَّ بك . فما لا مشاحة فيهِ ان العقل البشري لم يكن يحلم بامكان انتشار ديانة عامَّة بين الامم فضلاً عن الاقدام عليهِ لو لم تكن حال الاجتماع السياسية حينئذٍ قد اذنت بانقضاء مبدإ التفرُّق واعدَّت السبيل لدخول مبدإ الانضمام والاتحاد العام تحت لواء الامبراطوريَّة . ولو ان المسيحية ظهرت لاربعة قرون قبل ايامها لكانت بمثابة طريقةٍ اصلاحية منحصرة المكان كديانة البوذيين وكان طموحها الى ما وراء ذلك من ضروب العبث والمحال لوقوع دعوتها حينئذٍ على آذان غير مستعدَّة وقلوب غير معدَّة . ولو ان بولس قام قبل عصرهِ

وزار اثينا في ايام افلاطون وديوجنس لما أغنت بلاغةُ اليونانية ولا قريحةُ الشرقية فتيلاً .
ولكن مبدأ الوطنية الجامعة الذي خلّفهُ التمدن الروماني لعهد المسيحية هو الذي اعدَّتهُ العناية
الفائقة سبيلاً لانتشار كلمتها وقدَّمتهُ رائداً امام دعوتها . فعلى اساس ذاك المبدإِ الشريف
أقامت مبدأ الاشتراك العام في الحقوق والواجبات بدلاً من مبدإِ الاختصاص والاستئثار
والامتياز الشعبي . وبفضل هذا المبدإِ قام على خرائب الوثنية ذاك النظام الديني الباهر الذي
خوَّل الكنيسة المسيحية ان تلقَّب بلقب الكنيسة الجامعة . هذا هو النظام الانساني الذي نشأ
ودرج وترعرع وترقى في مراقي النموّ والكمال حتى بلغ ما هو عليهِ اليوم. فبعد ان كانت مصالح
الخلق في هاتيك العصور الغابرة تجتمع في دائرة ضيقة الحدود هي القبيلة جعلت تمتد الى ممالك
فسيحة الارجاء متباعدة الاطراف واصبحت طرق الحديد وسفن البخار واسلاك البرق تقرب
المواصلات وتشدُّ اواخي الوفاق والاخاء "وتجعل المصلحة الذاتية عقدة عصبية للمواساة والاشتراك
بالشعور" على ما قالتهُ جورج اليوت . هذا هو النظام الادبي الاعلى منية النفوس وكعبة الآمال
وجنَّة الكمال . فبعد ان كانت الواجبات الادبية مجهولةً فيما سوى الطفيف ولم تكن تتعدَّى
حدود العائلة او القبيلة كما سبق البيان اخذت في الظهور واتساع النطاق حتى صار كل فرد
من اتباع هذا النظام يعترف بحقها عليهِ ازاءَ بني نوعهِ البشري واخوتهِ في نظر خالقهِ جل وعلا .
لم يعد متمدن هذا العصر الصالح يحصر دائرة الاخاء في المذهب والمحتد والجنس واللغة وغيرها
من روابط الاجتماع بل يعدُّ اخاً لهُ كل من شاركهُ في الانسانيَّة على الاطلاق فيوجب على
نفسهِ اسعادهُ والعطف عليهِ فرض عين ويعدُّ وقف الذات على اصلاحهِ والاحسان اليهِ وفاءَ
دين . ذلك هو دستور العمل عند المرتقين في الانسانية اليوم على ما في بعض اهلهِ من بعض
الغفلة عنهُ والتقصير فيهِ لضعف في البشرية وبعدها عن الكمال . هذه هي المحجَّة العليا والطريقة
المثلى لم تعرفها القرون الاولى ولا اعتمدتها الوسطى وانما هي من مفاخر التمدن الحديث

كذا قل عن مآل الصورة الادبية في الانسان اليوم فمثال الكمال الانساني في عصرك
هذا غير ما كان عليهِ في العهد الاول للاجتماع . فبعد ان كان كمال الانسان القديم قائماً بشدة
بأسهِ وحصر الرفق في شخصهِ وقصر الفخر على نفسهِ كبرًا وعتيًّا يغضب لاقل بادرة ولا يصبر
على خلاف لا يرعى حرمةً ولا يعرف رحمة فيغتصب كل ماطمحت اليهِ شهواتهُ وطالت اليهِ
يداهُ اصبح مثال الكمال الحديث وديعاً حليماً شفيقاً كريماً يتحاشى اقل مظهر للمباهاة والازدهاء
بطيءَ السخط صبّارًا على مضض المناقشة والخلاف يحفظ حقوق الناس ويشاركهم في العواطف
ويسوءهُ ازعاج اقل مخلوق حتى امست هذه الكمالات شرعة الانسانية من يحتذيها عدَّ ملكاً

كريماً ومن لا يقتفيها بقي حيواناً بهيماً مهما يكن شعار طريقته وايّاً كان نجار حقيقته

وخلاصة القول ان الامور التي يشترك فيها ارتقاء الاحياء وتقدُّم العمران ثلاثة . الاول تقدم من صور قليلة مشتركة غير معينة الحدود الى صور كثيرة معينتها. الثاني استعداد مستمر في الحي وجسم الاجتماع للمحيط المرتقي . الثالث تكامل متواصل في المرتقي بتقدم بهِ من مبدإ التفرُّق والانفراد الى الانضمام والاتحاد بين اجزاء المركَّب حتى يبلغ بناءً واحداً متلاحم الاجزاء

مترى قندلفت

وصية فؤاد باشا

ازدان تاريخ الدولة العثمانية في القرن الماضي بذكر اربعة رجال عظام كان كلٌّ منهم نبراس الفضل ومصباح الهدى يؤْتمُّ بهِ ويقتدى عند تفاقم الخطوب واشتداد الاخطار "كأنهُ علم في رأسهِ نار" وهم رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا . كانوا دعاة الاصلاح وحماة الدولة وسياج السلطنة واركان عزها ومجدها . وقفوا حياتهم على خدمة الدولة والامة والوطن . وكانوا خير مثال يقتدى بهِ في الدفاع المجيد والسعي الحميد والجهاد الحسن

اما احدهم فؤاد باشا فقد قضى سنين طويلة في منصبي الصدارة ونظارة الخارجيَّة على التعاقب واليهِ ينسب الفضل في صدور الامر المسمى "خط همايوني" سنة ١٨٥٦ القاضي بوجوب مساواة رعايا الدولة العلية على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم في الحقوق والامتيازات. ولهُ الوصية المشهورة التي رفعها قبل موتهِ بيوم واحد الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٩ وقد اطلعنا على ترجمة لها في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية فعرَّبناها في ما يلي ليسمع منها القراء صوتاً صارخاً من القبر يرنُّ في المسامع والآذان . ويسوق الى صاحبهِ الرحمة والرضوان من كل شفة ولسان

قال المرحوم فؤاد باشا : — "مولاي . لم يبقَ لي في هذه الحياة سوى بضعة ايام وربما بضع ساعات فاردت ان اقضي هذه الدقائق الاخيرة في اتمام فرض مقدس واعرض على جلالتكم افكاري الاخيرة المفعمة غمًّا واسفاً على سوء المصير الذي انتهت اليهِ الدولة بعد التمادي في سياسة الخرق والطيش . وعند ما تبلغ كلماتي مسامع جلالتكم اكون قد فارقت هذا العالم فتصغون اليَّ من غير ان يداخلكم ارتياب في حسن قصدي لان الصوت الذي يتكلم من القبر يتكلم بصدق واخلاص

ان الله قد استودعكم عملاً فيهِ من الخطر بقدر ما فيهِ من المجد والشرف فلكي تقوموا بهِ حق القيام ينبغي ان تدركوا هذه الحقيقة المؤلمة وهي ان السلطنة العثمانية في خطر. فان التقدم السريع الذي احرزهُ جيراننا والغلطات العظيمة التي ارتكبها اسلافنا اوصلتنا اليوم الى موقف حرج الى الغاية فيلزم جلالتكم والحالة هذه ان تخلعوا العتيق وتنهجوا بالدولة منهجاً جديدًا تأمن بهِ المعاثر والمزالق وتنجو من المخاطر والبوائق

يحاول بعض الجهلاء ان يقنعوا جلالتكم بان وسائطنا الحاضرة تكفينا لاسترداد مجدنا الغابر وعزنا الدابر فيالهُ من خطاء فاضح وغرور فادح! فلو كان جيراننا باقين في الوقت الحاضر على ما كانوا عليهِ في عهد آبائنا لما تعذر على جلالتكم ان تبلغوا شأو اجدادكم وتخضعوا ملوك اوربا لسلطانكم ولكن جيراننا تقدموا كثيرًا عما كانوا عليهِ منذ قرنين. وقد سبقونا بمراحل وتركونا وراءهم ولم يكن تقدمنا اليسير في جنب تقدمهم الكثير شيئاً مذكورًا

لا أُنكر ان الدولة ارقى في عهد جلالتكم كثيرًا منها في عهد اسلافكم لكن هذا التقدم النسبي اقلُّ من ان يفي بحاجات الزمن الحاضر. قد تكونون يا مولاي من حيث القوة والعظمة كاسلافكم وربما استطعتم ان تفوقوهم في ذلك لكن هذا لا يكفيكم في طلب المحافظة على مركزكم في اوربا بل يجب ان تكونوا عند الحاجة قادرين على مضاهاة جيرانكم والاستخفاف بهم. وبعبارة اخرى ينبغي ان تكون سلطنتكم كانكلترا في الغنى وفرنسا في المعرفة وروسيا في الجيش والاَّ فهي في خطر السقوط العاجل والخراب القريب

وليست مسألتنا الآن محصورة في الحصول على التقدم السريع بل في جعل تقدمنا مساوياً لتقدم الامم الاوربية. ولكم يا مولاي في سلطنتكم جميع الاسباب والوسائط التي تمكّنكم من جعل الدولة في مقدمة دول اوربا كلها ولكن الحصول على هذه النتيجة يقضي بتغيير كل قوانيننا السياسية والمدنية. لان كثيرًا منها كان مفيدًا جدًّا في الماضي واصبح مضرًّا في الوقت الحاضر

ولما كان الانسان قادرًا على التقدم الى الكمال وجبت عليهِ مداومة السعي في تحسين شؤُونهِ وترقية احوالهِ. وهذه السنَّة الطبيعيَّة تطابق لحسن الحظ كنه ديانتنا الاسلامية فالاسلام يتضمن كل التعاليم الصادقة التي من اسمى مقاصدها تقدم العالم وارتفاع منار الانسانية. واما الذين يدَّعون ان ديننا يعارض تقدم دولتنا فهم ليسوا مسلمين صادقين. ولكل دينٍ قواعد وعقائد تحول دون تثقيف العقول وانارة الاذهان ما عدا الاسلام فانهُ مطلقٌ من هذه القيود ومما يفرضهُ على تابعيهِ ان يجاروا العالم في التقدم ويبذلوا جهدهم في ترقية القوى العقليَّة ويطلبوا العلم والمعرفة ليس في بلاد العرب وبين المسلمين فقط بل في البلدان الاجنبيَّة

حتى في الصين وفي اقاصي الارض ايضاً

لا يتوهم احد ان العلم الاسلامي يختلف عن علوم بقية الامم فالعلم واحد في كل مكان. وشمسهُ التي تنير العالم العقلي هي واحدة . والاسلام هو حسب اعتقادنا مجلى كل حقيقة ومظهر كل علمٍ . فكل اكتشافٍ مفيدٍ وتقدم جديد في كل مكانٍ وبين ايّة امةٍ كانت انما هو للمسلمين . وبناءً عليهِ لا شيءَ يحول دون اقتباسنا ما جدَّ عند الاوربيين من القواعد والقوانين. ولقد تضلعتُ من ديانتنا تضلعاً قدَّرني على فهم كنهها وادراك حقائقها ولستُ بجاهلٍ اهمية الغرض الذي ارمي اليهِ وابني كلامي عليهِ . وما كانت نفسي لتسوّل لي أن أخون سلطاني ووطني ومذهبي في الدقيقة الاخيرة من حياتي عند استعدادي لمفارقة العالم والوقوف في حضرة الديان العادل

فبملء الثقة والاقتناع اقول انهُ ليس بين جميع القوانين الجديدة التي تعرضها اوربا علينا قانون واحدٌ ينافي روح ديانتنا على الاطلاق . وبكل إخلاص اصرّح بأن خلاص الاسلام يقتضي المبادرة الى قبول هذه القوانين التي لا مندوحة عنها لامةٍ تروم حفظ كيانها وسلامتها من التلاشي . وأُصرّح ايضاً بان جلالتكم اذا اقدمتم على هذا التغيير الضروري الذي لا يخالف شيئاً من مبادىء ديانتنا المقدسة خدمتم المسلمين اعظم خدمة مشروعة ونفعتموهم نفعاً لم يخطر قط ببال احد من اسلافكم العظام . وهذا العمل العظيم يستغرق عدة مسائل ولم يبقَ لي في هذا العالم من القوة والوقت ما يمكنني من التأمل فيها . ولكنكم قادرون يا مولاي اذا شئتم ان تنتفعوا بخدمة ذلك الرجل العظيم الذي أُتيح لي ان اكون صديقهُ ومشيرهُ . واني اسأل الله ان يطيل بقاءهُ لجلالتكم لانهُ أعرف من غيرهِ بوسائط خلاص السلطنة . ولم أُشر قطُّ بشيءٍ على جلالتكم الاَّ بعد الوقوف على رأيهِ فيهِ واستحسانهِ لهُ . فمكنوهُ من ثقتكم التامة لان ثقة السلطان تشدّد ساعد الوزير . والتمس من جلالتكم فوق كل شيءٍ ان تؤيدوا هذا الخادم الامين الذي لا غنى لكم عن حذقهِ وذكائهِ وفطنتهِ ودرايتهِ ولا تدعوا جهل زملائهِ يثبط عزيمتهُ ويضعف همتهُ . ولا شيءَ يوهن عزمهُ اكثر من اضطرارهِ الى العمل مع من لا يستطيعون ان يدركوا افكارهُ ويفهموا مقاصدهُ

اما من جهة علاقاتنا الخارجية فلما كنا غير قادرين على محاربة اعدائنا وجب علينا ان نستعين بمصادقة الاجانب ومحالفتهم . ولاجل حماية حقوقنا يترتب علينا ان نبدي من القوة والحذق والشجاعة اكثر جداً مما ابدى اسلافنا في اخضاع الشعوب وتدويخ الممالك . واذا بحثتم عن حلفائنا الاجانب وجدتم انكلترا على الدوام في مقدمتهم . وسياستها وصداقتها متينتان

كقوانينها . وقد خدمتنا في الماضي خدمات جليلة ولا يسعنا الاستغناء عن مساعدتها لنا في المستقبل . ومهما تقلبت الاحوال فالشعب الانكليزي الذي هو اعجب شعوب العالم واجدرهم بالثقة والاعتماد يكون اول حلفائنا وآخرهم ولو خُيِّرتُ لاخترتُ خسارة الباب العالي عدة مقاطعات على خسارتهِ صداقة انكلترا

اما فرنسا فخليقة لنا يجب ان نعاملها دائماً بما نستطيعهُ من التجلة والاحترام ليس لانها قادرة ان تمدنا باعظم مساعدة فقط بل لانها تستطيع ايضاً ان توقع بنا اكبر ضرر. ولها شغف بالعظمة ولو رأتها في اعدائها . فاحسن وسيلة لحفظ صداقة هذا الشعب الكريم ان نجاريهُ على افكارهِ وتصوراتهِ ونبدي ما يوافقهُ من هذا القبيل. واذا اعرضت فرنسا عنا يوماً ما وجاهرت بعاداتنا كانت من الاسباب المتممة لخرابنا

اما النمسا فقد شغلتها مصالحها الاوربية عن المداخلة في المسألة الشرقية . وارتكبت غلطة كبيرة في حرب القرم وسترى في المستقبل الخطر الذي ينقضُّ عليها من الشمال ويكون شديداً عليها كما يكون علينا نحن ايضاً . وستبقى حكومة فينَّا حليفة طبيعية للباب العالي ما دامت ناهجة في سياستها منهج الحكمة والسداد . ولا يمكن صد تيار الشر العظيم الذي انهال على الشرق منذ اكثر من قرن الاَّ بمعونة النمسا ومضافرة حلفائنا في الشرق

اما بروسيا فقد ظلت الى هذا الوقت غير مكترثة للمسألة الشرقية ومن الممكن ان سياستها تقضي عليها بتضحيتنا في سبيل مشروع الاتحاد الالماني وبعد حصول هذا الاتحاد لا تلبث المانيا ان ترى لها في المسألة الشرقية ما لبقية الدول من المصالح وعسى ان لاتكون نتيجة سياستها في النمسا الزام اعدائنا امتلاك بلادنا الاوربيَّة

اما روسيا فهي عدوة دولتنا الطبيعية وامتدادها في الشرق من جملة مبادئها الاساسية . ولو كنت وزيراً روسيًّا لما تركت شيئاً يحول دون تدويخ الاستانة . فلا نعجب اذاً ولا نشكو من جفائها وعدائها وهي تعاملنا الآن كما كنا نحن سابقاً نعامل اليونان. ومن اسخف الامور ان نعتمد في صد غاراتها عنا على مجرد حقوقنا اذاً نحتاج الى القوة ولكن ليس القوة التي استخدمناها قديماً وانقضى امرها ولا فائدة من محاولة احيائها بل القوة الجديدة التي تسلَّح بها شعوب اوربا بواسطة العلوم والمبادىء الحديثة . ان روسيا لم تعد كما كانت في عهد بطرس الاكبر بل خطت خطوات مهمة في سبيل التقدم وعما قليل تزداد قوتها عشرة اضعاف بواسطة سككها الحديديَّة . ومما يخيفني على الخصوص ان اكثر امم اوربا راضٍ من الآن بما تقصدهُ روسيا من الاعتداء على غيرها

ومما يدهشني ايضاً ويخيفني عدم اهتمام انكلترا باحوال اواسط اسيا ويزيد خوفي ودهشي حينما ارى التغيير العظيم الذي حدث في موقف روسيا على اثر زوال القلاقل من ولايات القوقاس. وعندي ان روسيا ستصوّب غاراتها في المستقبل على املاكنا في اسيا الصغرى فمن الضروري ان لا نكفّ عن التأهب والاستعداد لاننا لا ندري هل يكون حلفاؤنا مستعدين على الدوام للبادرة الى مساعدتنا عند ما تمس الحاجة. فقد يحدث شيء في اوربا يغل ايديهم ويشغلهم عنا

وعند ما اراجع في ذهني الغلطات التي ترتكبها حكومات اوربا لا ارى اعظم من غلطتها في سماحها لاعظم دولة مستبدة في العالم ان تتألف من مئة مليون وتتسلح بكل معدات التمدن وتفتح فاها لابتلاع الممالك والبلدان. وهي تغشى اسيا بالجيوش وتزعزع اركان اوربا بالنهضة السلافية وتقدم على الفتح والتدويخ بحجة محبتها للسلام وعدم رغبتها في تغيير الحالة الحاضرة

ولقد حدا بي ذكر روسيا الى الكلام على ايران ولو بالايجاز. فحكومة هذه البلاد كانت على الدوام منقادة بعامل التعصب الشيعيّ الى محالفة اعدائنا. وقد سوَّلت لها نفسها في حرب القرم ان تظاهر روسيا علينا ولكنَّ رياح السياسة الشرقية هبَّت على خلاف مشتهاها وحالت دون تحقيق مناها. وعرش الشاه معتمد في الوقت الحاضر على الوزارة الروسية على ان حكومته بالغة غاية الضعف والجهل والفقر فلا تستطيع مباداتنا بالشر والعداء ما دمنا مطلقي الايدي من المشاكل والعراقيل. ولكن متى نشبت الحرب بيننا و بين روسيا صمدت الينا ايران في مقدمة اعدائنا بالرغم عن شدَّة حذرنا منها مدفوعة بعامل استقلالها السياسي وغيرتها العمياء لكن الباب العالي لحسن حظهِ يأمن جانبها بما لديهِ من القوة المادية وهو قادرٌ ايضاً ان يستعين بالوسائط الادبية على ارهاب حكومة زعزع اركانها الاستبداد وكثرة الطامحين اليها وهي محاطة باهل السنَّة من كل جانب

ولا يجوز ان ننسى اليونان فهي لا شأن لها في ذاتها ولكنها آلة في يد دولة معادية لنا تستخدمها لتعكير مائنا وتكدير صفائنا. وكأن الشعراء الاوربيين انشأوا هذه المملكة في عالم الخيال لينشروا بها امة طواها الدهر منذ اكثر من الني سنة. حاولوا احياء بلاد هوميرس وارسطوطاليس فانشأوا مستقر الدسائس والفوضى وقد يبقى اليونان زمناً طويلاً مستعزين بما كان لهم من المجد السالف ولو كانوا قد ابتعدوا عنهُ منذ قرون كثيرة ساد فيها الفساد والجهل ويحاولون اعادة مملكتهم الشرقية لكن اغترارهم بانفسهم وانفصالهم عن غيرهم يكرّهان الامم الشرقية بهم. وقد يسهل على الباب العالي ان يجد بعض الخدام الاذكياء بين اليونان ولكن روح الجنس اليوناني سيبقى على الدوام مضادًّا لمصلحتنا. فمصلحتنا السياسية تقضي علينا بذل

الجهد في ابعاد اليونان عن باقي المسيحيين الذين في سلطنتنا وفصل البلغار عن سلطة الكنيسة اليونانية ومنع اتصالهم بالكنيسة الروسية او البابوية

وعلى الباب العالي ان يمنع كل دسيسة يراد بها ضم الارمن الى الكنيسة الارثوذكسية . وليكن سعينا لخير المسيحيين مقصورًا على محاولة تحريرهم من سلطة الاكليرس . وافضل سياسة يجب علينا اتباعها هي ان تجعل الحكومة فوق كل مداخلة في المسائل الدينية

اما من جهة امورنا الداخلية فعلينا ان نوجه اهتمامنا الى ادراك غرض واحد وهو مزج شعوبنا بعضهم ببعض ولا سبيل الى وحدة سلطنتنا بغير هذه الواسطة . لا ينبغي ان تكون هذه السلطنة العظيمة يونانية او سلافية ولا لهذه الطائفة او ذلك الجنس لانها انما تقوم باتحاد شعوبها وامتزاج اجناسهم

والبقاء مضمون لدولةٍ مثل المانيا او لامةٍ مثل فرنسا عددها ٤٠ مليون نفس او لبلاد مثل انكلترا عززتها الطبيعة بامنع الحصون اما الجبل الاسود والسرب وارمينية وغيرها من الولايات التي ليس لها شيء من الامتياز الخاص او النفع العام فاذا وجدت كانت عبارة عن حكومات خيالية او بقايا دولٍ من سالف الامد وقد اخنى عليها الذي اخنى على لبد وغادرها فرائس لكل فاتحٍ جديدٍ او حجر عثرة في تقدم الانسان وخطرًا على السلم العام

وأصوب رأي يعوّل عليهِ الآن في تنظيم الحكومات الحاضرة هو جمع القوّة بواسطة المزج والتأليف بين العناصر المختلفة . فافضل وسيلة لدرء الخراب عن حكومتنا تجديد نظامها على اساسٍ متين يجمع العناصر المتفرقة بلا تمييز في الجنس او المذهب . ويربطها كلها برباط المساواة . ومعلوم ان هذا المبدأ يقضي بترشيح رعايانا المسيحيين للوظائف العمومية وفي هذا ما فيهِ من الصعوبة لانهم اذا فتح لهم هذا الباب الذي كان مغلقًا في وجوههم اندفعوا منهُ بملء العزم والحمية وحاولوا سبق الذين تقدموهم من قبل . وهذا الطموح ابداهُ الارمن على الخصوص فمن الحكمة ان نتداركهُ بما يجعل الباب مفتوحًا فقط للرجال الامناء الذين يقبلون مبدأ وحدة السلطنة ويعملون بموجبهِ

ان ديانة رعايانا المسيحيين مؤسسة في الغالب على مبدأين احدهما ادبي والآخر سياسي . وعلى حكومتنا ان تغض النظر عن مبدإِهم الادبي وتتجاهلهُ على الاطلاق وتوجه عنايتها الى مراقبة مبدإِهم السياسي بعين الحذر والانتباه فلا نبالِ بكيفية عبادة احد رجال حكومتنا لله سواء عبدهُ حسب ناموس موسى او بموجب شريعة عيسى اذ ليس في ذلك ما يقضي بحرماننا الانتفاع بخدمتهِ . ولكننا اذا وجدناهُ لا يسعى لوحدة السلطنة وعلمنا انهُ يعلل نفسهُ بانشاء

امبراطوريَّة بيزنطية ثانية او يخدم مصلحة دولة اجنبيَّة وجب علينا عزلهُ حالاً لانهُ خائن للدولة والامة

ووحدة الحكومة والبلاد قائمة على اساس المساواة . والمساواة هي القاعدة الوحيدة التي اطلب من كل موظف عمومي ان يجري عليها . وعلى جلالتكم ان تسعوا اولاً في توطيد اركان العدل حتى تظهروا عظم اهمية هذه القاعدة المفيدة . ولا اجهل ان هذا السعي وعث المسالك صعب المراس ولكن لا بد منهُ ولا غنى عنهُ . وبعد ما تضمنون لرعايانا سلامة حياتهم واموالهم يجب عليكم ان تهتموا بانشاء السكك . وحينما يصير عندنا من سكك الحديد قدر ما عند الدول الاوربية تكون دولتنا اول دولة في العالم . وهنا مسأَلة لا يجوز الاغضاء عنها لانها شديدة الاهمية اعني مسأَلة المعارف العمومية التي هي اساس كل ترقٍّ عمومي وبغيرها لا يرجى الحصول على عظمة ادبية او ماديَّة . وهي تشمل الجيش والبحرية والادارة والاَّ فلا قوَّة لنا ولا استقلال ولا حكومة ولا مستقبل . ان التعليم في بلادنا لم يزل منحطّاً لاسباب مختلفة مع ان روح ديانتنا يأْمر بترقيتهِ وتعميمهِ ومدارسنا الكثيرة التي استغرقت نفقات باهظة اعدَّت لنا مع قلة فائدتها اهم مبادئ التعليم العمومي ولم اتمكن من انفاذ هذا المشروع لاني كنت على الدوام مشغولاً عنهُ بالمشاكل الخارجية . فاتركهُ لخلفائي واؤَكد لهم انهُ اعظم المشروعات اهمية وفائدة . وليس بخافٍ عليَّ ان بعض المسلمين سيكفرونني ويعدونني عدو الدين ولكنني اعفو عنهم لعلمي انهم لا يفهمون كلامي ولا يدركون افكاري . وسيأْتي يوم يتحققون فيهِ اني انا المصلح الكافر كنت اصدق عقيدة واصحّ اسلاماً من كل اولئك الاغرار الذين صبوا عليَّ جام اللعنات وصوَّبوا اليَّ سهام الاهانات . سيعلمون ولكن بعد فوات الوقت اني جاهدت اكثر من كل شهيد آخر في سبيل حكومتهم وديانتهم اللتين عرضوهما للسقوط والانحطاط . ان الناموس الاول لكل نظام الهيًّا كان او انسانيًّا هو ناموس الحفظ الذاتي افلم يكن حفظ الاسلام غرضي الوحيد من كل اصلاح ابتغيتهُ . ولم اتذرع الى ذلك بالتعصب الاعمى والتحزب الباطل بل بالطرق التي وضعها اله الاسلام امامنا كما وضعها امام كل امةٍ اخرى في العالم

ان يدي الضعيفة المضطربة لم تعد قادرة على الكتابة فاقف عند هذا الحدّ والتمس في الختام من جلالتكم ان توجهوا التفاتكم الى الكلمات الاخيرة التي فاه بها هذا الخادم المنكود الحظ الذي كان بالرغم عن كل ضعفٍ بشريّ محبًّا لبني جنسهِ وباذلاً اقصى جهدهِ في ما يعود عليهم بالنفع والآن يفارق العالم غير آسفٍ عليهِ ويموت مسلمًا عانيًا لاحكام القدر ومسلمًا نفسهُ للديان العظيم الرحمن الرحيم

فؤاد

من هو المُقوْقِس

لمَّا نشرنا رواية عروسة النيل في العام الماضي علَّقنا على الفصل الاول منها حاشية قلنا فيها "اختلف الكتَّاب في مَن هو المقوقس الذي ذكر مؤرخو العرب انهُ كان واليًا على مصر وقت الفتح وقبلهُ . والمرجَّح الآن انهُ والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب لهُ وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جُرَيج بن مينا على ما قالهُ المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني"

ولم نكن نعلم حينما كتبنا هذه السطور ان عالمًا انكليزيًّا[1] من الباحثين في التاريخ المصري باذلٌ همتهُ في تحقيق امر المقوقس . وقد اطَّلعنا الآن على كتاب كبير نشرهُ في آخر العام الماضي موضوعهُ "فتح مصر والاسكندريَّة" الحق بهِ فصلاً مسهبًا اقام فيهِ الادلَّة الكثيرة على ان المقوقس هو البطريرك قيرُس الملكي الذي نُصِّب على كرسي البطريركية الاسكندريَّة قبل الفتح بعشر سنوات فاضطَّهد القبط شديد الاضطهاد حتى لم يكبر عليهم ان يعاونوا العرب عليهِ حينما اضطروا الى ذلك . وقد رأينا ان نترجم هذا الفصل ببعض تصرُّف ونعلق عليهِ من الحواشي ما تزيد بهِ الفائدة ونرد ما اقتبسهُ من التواريخ العربية الى اصلهِ العربي حينما يتيسَّر لنا ذلك . قال المؤلف ما خلاصتهُ

اتَّفق كتاب التاريخ على ان المقوقس لقبٌ لرجل كان لهُ شأن كبير عند الروم وقت فتح مصر وانهُ هو الذي سلَّمها للعرب او صالح العرب عليها ولكنهم اختلفوا في اسمهِ وجنسهِ ووظيفتهِ والعمل الذي عملهُ ومعنى هذا اللقب . وقد كثر الجدال في هذه المسائل الآن ولا غرابة في ذلك لان كتَّاب العرب خبطوا في هذا الموضوع خبط عشواء من قديم الزمان

ثم ذكر كلام كثيرين من المؤرخين الاوربيين المحدثين مثل فون رنكي الذي قال ان المقوقس كان والي مصر وانهُ من القبط . ودهِ غوجه الذي قال ان بعض مؤرخي العرب خلطوا احيانًا بين المقوقس والبطرك قيرش بطرك الاسكندرية مع انهما شخصان مختلفان . والمستر ملن الذي قال ان المقوقس هو جريج الذي ذكرهُ يوحنا النيقوسي وقال انهُ كان واليًا على اتريب . ومال الاستاذ ستانلي لاين بول الى هذا الرأي وحسب انهُ من القبط . وقال الاستاذ بري انهُ كان والي مصر كلها وكان من القبط . اي ان جمهور الكتاب الاوربيين المحدثين على ان المقوقس لقب لوالي مصر كلها من قبَل الروم او لوالي عمل من اعمالها وانهُ كان من القبط لا من

(1) هو الدكتور الفرد بطلر Alfred Butler D. Litt., F. S. A. واسم كتابهِ The Arab Conquest of Egypt.

الروم . ثم انتقل المؤلف الى اقوال مؤرخي العرب في هذا الصدد فذكرهم حسب ازمنتهم قال

قال البلاذري [١] " ان المقوقس صالح عمرو بن العاص فبلغ ذلك ملك الروم فتسخَّطهُ وبعث بجمع من الروم فاغلقوا باب الاسكندريَّة واذنوا عمرًا بالحرب فخرج اليهِ المقوقس فقال لهُ اسألك ثلاثًا ان لا تبذل للروم مثل الذي بذلتَ لي وان لا تنقض بالقبط فان النقض لم يأتِ من قبلهم " الخ

وقال الطبري [٢] " فلقيهم هنالك (امام حصن بابل) ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس " وقال عن المقوقس في مكان آخر انهُ صاحب الاسكندريَّة

وقال ابن البطريق [٣] " وكان العامل على الخراج بمصر المقوقس من قبَل هرقل وكان يعقوبيًّا مبغضًا للروم الَّا انهُ لم يكن يتهيأ لهُ ان يظهر مقالة اليعقوبية لئلاَّ يقتلوهُ وكان ايضًا قد اقطع اموال مصر من وقت حصار كسرى للقسطنطينية فكان يخاف ان يقع في يد هرقل الملك فيقتلهُ "

وقال ساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين [٤] في كتابهِ سير البطاركة " ولما ملك (هرقل)

---

(١) البلاذري من اقدم المؤرخين ولد سنة ٨٠٦ للميلاد وتوفي سنة ٨٩٢ او ٢٧٩ للهجرة وكتب كتابهُ فتوح البلدان سنة ٨٦٨ للميلاد اي بعد فتح مصر بنحو ٢٢٠ سنة وهو من اقدم التواريخ واوسعها واصحها ويظهر منهُ ان المؤرخين كانوا مختلفين حينئذٍ في امور كثيرة من حيث زمن الفتح وطريقتهُ

(٢) الطبري قال في وفيات الاعيان انهُ محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان امامًا في فنون كثيرة وتاريخهُ اصح التواريخ العربية واثبتها • وكانت ولادتهُ سنة ٢٢٤ بآمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ ببغداد

وكتب ده غوجه مقالة مسهبةً عنهُ في الانسكلوبيذيا البريطانية قال فيها ان تفسيرهُ دعامة كتب التفسير كما ان تاريخهُ دعامة كتب التاريخ . وبين انهُ كان عمدة كل المؤرخين الذين تلوهُ فاختصرهُ بعضهم او اضافوا اليهِ حتى يمتد الى عهدهم كالفرغاني والهمذاني والقرطبي وابن مسكويه وابن الاثير

وقال الدكتور بطلر ان تاريخ الطبري على اتساعهِ اوجز الكلام جدًّا على فتح مصر وخلط بين الاماكن واخطأَ في تنسيق الحوادث فذكر فتح الاسكندرية قبل فتح مصر ولعلَّ السبب من النساخ لا من المؤلف

(٣) هو سعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية قال في عيون الانبا انهُ من اهل فسطاط مصر وكان طبيبًا نصرانيًا مشهورًا عارفًا بعلم صناعة الطب وعملهِ ولد سنة ٢٦٣ للهجرة وجعل بطريركًا على الاسكندرية وسمي اوثوشيوس وعمرهُ نحو ستين سنة وبقي في الكرسي والرئاسة نحو سبع سنين وستة اشهر ومات سنة ٣٢٨ للهجرة ولهُ كتب كثيرة في الطب والتاريخ المشهور بنظم الجوهر

(٤) قال الدكتور بطلر انهُ اسقف قبطي كتب تاريخ البطاركة ويوجد من كتابهِ ثلاث نسخ معروفة واحدة في المتحف البريطاني وهي من القرن الخامس عشر وواحدة في مكتبة باريس من القرن الرابع عشر والثالثة اقدم منها وهي عند مرقس بك سميكه في القاهرة . وكان في القرن العاشر للميلاد • وفي نسخة باريس مقدمة لمحبوب بن منصور احد شمامسة الاسكندرية كتبها في النصف الاخير من القرن الحادي عشر

الارض اقام الولاة في كل موضع وانفذ واليًا الى ارض مصر يدعى قيرس ليكون بطركًا وواليًا فلما وصل الى الاسكندريَّة اعلم الابا بنيامين ملاكُ الرب بهِ وامرهُ ان يهرب هو ومن معهُ مهنا لان شدائد عظيمة تنزل عليهم"

ثم قال عن سني الاطهاد "وهي السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلَّطَيْنِ على ديار مصر". وقال ايضًا "فلما تمت عشر سنين من مملكة هرقل والمقوقس". وايضًا "خاف الكافر والي الاسكندريَّة وهو كان واليها وبطركها من قبل الروم"

ثم جاء ابن الاثير (١) فقال "اخذ المسلمون باب اليون وساروا الى مصر فلقيهم هناك ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس لمنع بلادهم" .... الى ان قال "فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا ..... ثم سار عمرو حتى بلغ الاسكندرية فوجد اهلها معدين لقتالهِ فارسل المقوقس الى عمرو يسألهُ الهدنة الى مدة فلم يجبهُ الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر هرقل فكان منهُ ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابهِ صدق فنحن اولى بالاذعان ... وصالح عمرًا على اثني عشر الف دينار" الى غيرذلك من الخبط الكثير ولاسيما في ما رواهُ عن اوائل الفتح

وكتب ابو صالح الارمني (٢) في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد فقال "وكان محمد قد سير حاطب ابن ابي بلتعة ابن لخم الى المقوقس صاحب الاسكندريَّة". وقال في الكلام على دير في الصعيد "كان يأوي فيهِ بنيامين البطرك مختفيًا في مملكة هرقل ملك الروم الخلقيدوني وجريج ابن مينا المقوقس بمصر الى انقضاء مدة عشر سنين خوفًا منهما كما وعدهُ الملاك وهي مدة تسلُّطهِ على الارثذكسيين وطلبهِ منهم الاعتراف لهُ بالامانة المخالفة للحق الصحيح ونال النصارى منهم صعوبة شديدة ولم يجحدوا امانتهم". وقال قبل ذلك انهُ وجد في كتاب الجناح "وكان الاسقف من الروم بمصر والاسكندريَّة يسمَّى قيرس"

وقال ياقوت الحموي (٣) ان امير الحصن كان وقت الفتح "المنذفور الذي يقال لهُ الاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية"

(١) ابن الاثير من اشهر موَّرخي العرب ولد بالجزيرة وسكن الموصل ثم رحل الى الشام والقدس وتاريخهُ الكامل يبتدئ من اول الزمان الى آخر سنة ٦٢٨ للهجرة وكانت وفاتهُ سنة ٦٣٠ هـ الموافقة سنة ١٢٣٣ للمسيح

(٢) ابو صالح الارمني كان معاصرًا لابن الاثير او سابقًا لهُ فقد قال في اول كتابهِ "نبتدئ بعون الله وارشادهِ ان في عصرنا هذا في ابتداء سنة اربع وستين وخمس مائة كان بناء الكنيسة التي على اسم ماري يعقوب بناحية البساتين"

(٣) ياقوت الرومي الحموي أُسر من بلادهِ صغيرًا وابتاعهُ تاجر ببغداد وعلمهُ وشغلهُ بالاسفار في

وقال المكين[٤] ان المقوقس كان والي مصر من قبَل هرقل وانهُ صالح عمرًا هو وكبار القبط وجاء ابن خلدون بعده[٥] فتابع ابن الاثير في خبطهِ وجعل المقوقس من القبط وابن دقماق[٦] جعل المقوقس رومانيًّا وقال انهُ نائب هرقل. ونقل المقريزي[٧] عن يزيد بن ابي حبيب ان المقوقس كان رومانيًّا وتابع ابن عبد الحكم في ابقاء المقوقس الى زمن فتنة مانويل وتابع ياقوت في وصفهِ المقوقس بانهُ ابن قرقب اليوناني. وقال انهُ كان للقبط بطرك في الاسكندرية اسمهُ ابو ميامن وان المقوقس صالح العرب لكن هرقل لامهُ على تمثُّلهِ بالقبط وقال انهُ اقام قيرش بطرك الاسكندريَّة

وقال الواقدي[٨] ان ملك القبط كان يومئذٍ المقوقس بن راعيل

وذكر ابو المحاسن[٩] ان بنيامين كان بطرك القبط في الاسكندريَّة وانهُ كان على قصر الشمع رجل من الروم يقال لهُ الاعرج اميرًا عليهِ من قبل المقوقس وسمي المقوقس في نسختين بجريج ابن مينا وقال في مكان آخر ان الاعرج هو المندقور وكان من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني ونقل عن ابن كثير انهُ لما دخل العرب مصر لاقاهم ابو مريم جاثليق مصر وابو مرتام الاسقف

وقال السيوطي[١٠] انهُ كان على الحصن المندقول المسمَّى بالاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني الذي كان مقيمًا في الاسكندريَّة وان اسم الاسقف اليوناني ابوميامن

متاجرهِ ثم عتقهُ فاشتغل بالنسخ بالاجرة ثم صار يتجر بالكتب ثم الف كتبًا جمة اشهرها معجم البلدان وكانت وفاتهُ سنة ٦٢٦ للهجرة الموافقة سنة ١٢٢٩ للميلاد

(٤) هو جرجس المكين ابن العميد النصراني بن ابي المكارم اختصر تاريخ الطبري ثم كملهُ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ للهجرة الموافقة سنة ١٢٧٣ للمسيح

(٥) ابن خلدون اشهر من ان يذكر وكانت وفاتهُ بالقاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة الموافقة سنة ١٤٠٥ للميلاد

(٦) كاتب مصري توفي سنة ١٤٠٦ للميلاد وكشف كتابهُ سنة ١٨٩١ وطبع على نفقة الكتبخانة الخديوية

(٧) هو تقي الدين المقريزي البعلبكي الاصل المصري الدار والوفاة ولهُ كتب كثيرة اشهرها كتاب الخطط والآثار توفي سنة ٨٤٥ هجرية الموافقة سنة ١٤٤١ للميلاد

(٨) الواقدي من اشهر المؤرخين واقدمهم فانهُ توفي سنة ٢٠٧ للهجرة الموافقة سنة ٨٢٣ للميلاد والكتاب المشهور بفتوح الشام منقولة رواياتهُ عنهُ ومحشاة بكثير من الاخبار الموضوعة وقد ظهر من بحث الباحثين ان اكثر ما نقل عنهُ من الاخبار التاريخية صحيح ولا سيما في تاريخ وقوع الحوادث

(٩) هو الامير جمال الدين ابو المحاسن ولد في القاهرة في اوائل القرن التاسع للهجرة وصنف كتبًا كثيرة منها المنهل الصافي وتكملة تاريخ السلوك للمقريزي وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة وغيرها وكانت وفاتهُ سنة ٨٧٤ للهجرة الموافقة سنة ١٤٦٩ للميلاد

(١٠) هو الامام جلال الدين السيوطي صاحب المصنفات الكثيرة ومنها حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة كانت وفاتهُ سنة ٩١٦ للهجرة الموافقة سنة ١٥٠٥ للميلاد

ويستخلص من التواريخ العربيَّة على ما فيها من قلة التدقيق ان هناك ثلاثة رجال يهمنا البحث عنهم وهم المقوقس وابو مريم والاعرج . وهاك ما يقال عنهم مبتدءًا من الاخير

(١) الاعرج او الأَغرج او الأُعَيرج — ذكر هذا الاسم اولاً على ما يظهر ياقوت الحموي في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد وقال انهُ كان امير الحصن ولقَّبهُ بالمندفور ولعلها المندتور والتحريف من النسَّاخ والمندتور كلمة يونانيَّة معناها الامير . وتابعهُ ابو المحاسن والسيوطي وزاد السيوطي في تحريف هذه الكلمة فجعلها المندفول . وقال الاستاذ لاين بول ان الاعرج محرف من كلمة ارتاين وهو اسم احد القواد الرومانيين وانهُ كان يكنى بابن قرقب وعندي ان الاعرج تحريف كلمة جريج وان اسم امير الحصن كان جريج او جورج والمرجح انهُ غير جورج الوالي الذي ذكرهُ يوحنا اسقف نيقوس

(٢) ابو مريم — قال الاستاذ لاين بول انهُ جاثليق مصر . ومعنى جاثليق بطرك وقد ذكرهُ اولاً بهذا اللقب الطبري لانهُ لقب لبطاركة الكنائس النسطوريَّة والارمنية وكان مألوفاً عندهُ لاتصالهِ ببلاد الفرس . وقال الطبري انهُ كبير اساقفة النصارى لكنهُ كناهُ بابي مريم ومعلوم انهُ كان في مصر في زمن الفتح بطركان قيرس وبنيامين . فابن مريم لا يصح ان يكون محرفاً من قيرس ولكن يصح ان يكون محرَّفاً من بنيامين وزاد تحريف الاسم في زمن ابن الاثير فصار ابو مريم وسماهُ السيوطي ابا ميامين . وواضح ان ابا بنيامين حُرِّف فصار ابامیامین ثم ابا مريم وعليهِ فابو ميامين هو البطرك بنيامين بطرك القبط اليعاقبة

لكن الطبري وابن الاثير جعلا بنيامين اميرًا على الحصن من قبل المقوقس الذي كان في سلطان هرقل وهذا خطأٌ ولا يركن الى ما قالاهُ لانهُ ثابت من اقوال غيرهما ان البطرك بنيامين اختبأ في الصعيد مدة سني الاضطهاد العشر ومدة سنوات الفتح الثلاث والظاهر ان مؤرخي العرب رأوا لبطرك الاسكندرية شأناً في زمن الفتح وانهُ هو الذي سلَّم الاسكندريَّة لما عصى مانوئيل فخلطوا بين ما فعلهُ قيرس البطرك اليوناني وما فعلهُ بنيامين البطرك القبطي

(٣) المقوقس — ان المؤرخين الاقدمين الذين اشرنا اليهم كالبلاذري والطبري وابن البطريق وساويرس اسقف الاشمونين وابن الاثير لم يُكنُّوا المقوقس واول من قال انهُ ابن مينا الشيخ ابو صالح الارمني سنة ١١٦٨ للميلاد وقال ياقوت الحموي انهُ ابن قرقب اليوناني كأنهما نقلا هاتين الكنيتين عن مصدرين مختلفين ويؤيد ذلك ذكرهما معاً بعدئذٍ في مؤلف واحد كما في كتاب ابي المحاسن

ثم خطأ الطبري وفسَّر ما قالهُ سعيد ابن البطريق من ان المقوقس كان يعقوبيًّا مبغضاً للروم

بان " ابن البطريق كان ملكيًّا فجعل المقوقس يعقوبيًّا لكي لا يقع على الملكيين تبعة ما فعله" ثم قال ولا يكشف امر المقوقس الاَّ ساويرس ابن المقفع القبطي وقد الَّف كتابهُ من كتب كثيرة كانت محفوظة في دير مقاريوس وقد تقدَّم انهُ قال عن قيرس ان هرقل اقامهُ واليًا وبطركًا على ارض مصر وانهُ اضطهد اليعاقبة عشر سنين ثم لقبهُ بالمقوقس قائلاً السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر وقال عن لسان بنيامين ان المقوقس طردني

ويظهر من مجمل هذه العبارات ان ساويرس اسقف الاشمونين كان يحسب قيرس بطركًا وواليًا على ديار مصر من قبَل الروم وانهُ هو المقوقس الذي اضطهد البطرك بنيامين عشر سنين

واقام الدكتور بطلر الادلَّة على ان الاسقف ساويرس مصيب في ذلك واشتهد بما نقلهُ المسيو اميلينو العالم الفرنسوي من السنكسار القبطي وهو " كان المقوقس رئيس الامانة الخلقيدونيَّة واقيم واليًا وبطركًا على مصر". وما نقلهُ السنيور بريرا العالم البرتغالي من السنكسار الحبشي وهو " المقوقس الذي كان واليًا وبطركًا على الاسكندريَّة وكل ارض مصر". فثبت من ذلك ان المقوقس كان واليًا وبطركًا على ارض مصر في زمن الفتح وانهُ هو البطرك قيرس الاسكندري

اما تلقيب صاحب مصر بالمقوقس قبل الفتح بزمن فحسبهُ الدكتور بطلر خطا من كتَّاب العرب الذين رأوا صاحب مصر وقت الفتح يلقَّب بالمقوقس فظنوا ان هذا كان لقب صاحبها في زمن النبي ايضًا

واما كلمة المقوقس فقال اميلينو وبريرا انها مشتقة من كوكيون باليونانيَّة اسم نوع من النقود لان المقوقس كان على جباية الخراج كما تقدَّم لكن الدكتور بطلر لم يصوّب هذا الرأي بل قال ان اللفظ الحبشي لهذه الكلمة هو المُقَوْقَس بفتح القاف الثانية وان هرقل نقل قيرس الى مصر من بلاد القوقاس فلا يبعد ان يكون لُقّب في مصر بالقوقاسي وهي او قوقاسيوس باليونانيَّة وبكوخيُس بالقبطية ولا يبعد ان تكون الكلمة القبطية حُرفت في نقلها الى العربية فصارت مقوقس او قُدّمت عليها الميم للنسبة (كالممصَّر لمن اقام في مصر) ولكلمة كوكس اليونانية معنى قبيح فلا يبعد ان يكون القبط لقبوهُ بهِ كراهةً لهُ او رأوا في نسبتهِ الى القوقاس تورية عن هذا المعنى فلقبوهُ بهِ كما لقبوهُ بالكافر والدجال وابن الشيطان

هذه خلاصة ما اوردهُ الدكتور بطلر ويظهر لنا انهُ حلَّ عقدة غامضة من عقد التاريخ وابان ان البحث الدقيق يجلو اغمض المسائل

مشاهير الزمان

مدَّ البحث العلمي رواقهُ على كل ما نراهُ في الارض والسماء جمادًا كان او نباتًا او حيوانًا من ذرَّات الهباء المتطاير في الهواء الى الشموس السابحة في جلَد السماء. ومن الزوفا النابت على الحائط الى ارز لبنان المتوشح بالعظمة والبهاء. ومن اصغر الميكروبات التي لا ترى الاَّ باعظم المكبرات الى الانسان رب النهى وسيد المخلوقات. ولم يقتصر على ذلك بل تناول كلَّ ما عُرف من نواميس الكون وشرائع العقل وملابسات الانسان حتى تاريخهُ وارتقاؤهُ في مراقي العمران خضعا للبحث العلمي كما يرى القارئ من مقالة اخرى في هذا الجزء. وآخر ما وقفنا عليهِ من ذلك بحث مستفيض عن شهرة الناس بيَّن فيهِ واضعهُ انهُ يمكن الاستدلال على شهرة المشاهير ونسبة بعضهم الى بعض بما تشغلهُ ترجماتهم في المعجمات الكبيرة. الاَّ ان الباحث (وهو الاستاذ مكين كاتل من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة) اقتصر على بعض المعجمات الاوربية والاميركيَّة اثنان منها انكليزيَّان واثنان فرنسويان وواحد الماني وواحد اميركي وهي اشهر المعجمات واوسعها وقد فتش في كلٍّ منها عن الالف الذين شغلت سيرهم اوسع مكان فيهِ فاجتمع معهُ ستة آلاف اسم ثم اختار منها الاسماء التي وردت في ثلاثة من هذه المعجمات على الاقل فبلغ عددها ١٦٠٠ فانتقى منها الالف الذين ترجماتهم اطول من ترجمات غيرهم ورتَّبهم حسب طول ترجماتهم في المعجمات الستة وقال انهُ اكتشف بذلك اشهر المشاهير حسبما قرَّ عليهِ قرار مؤلفي تلك المعجمات. ومعلوم انهُ لو اضاف اليها المعجمات العربية والهنديَّة والصينيَّة لاضطرَّ ان يحذف بعض الاسماء التي ذكرها ويضيف اليها غيرها ويغيّر وضع بعض الاسماء الشرقية. وقد قال انهُ ليس في سائر اللغات الاوربيَّة معجمات يعتمد عليها ومن رأيهِ انهُ لم يقم في اوربا واميركا رجل مشهور الاَّ وسيرتهُ مذكورة في المعجمات التي اعتمد عليها ولذلك فهي تمثل كل المشهورين عند الاوربيين والاميركيين ونسبة بعضهم الى بعض

وقسم هؤلاء الالف الى عشرة اقسام كل قسم منها يشمل مئة من المشاهير رجالاً ونساء ولولا ضيق المقام لذكرناهم كلهم ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ فنقتصر على ذكر اشهرهم في ظننا حسب الترتيب الذي اوردهم فيهِ اما المئة الاولى فنذكر كل مَن ذكر فيها ليرى القراء كم يعلمون من اسماء المشاهير

المئة الاولى — نبوليون بونابرت. شكسبير. ڤولتير. باكون. ارسطوطاليس. غاتي. يوليوس قيصر. لوثيروس. افلاطون. نبوليون الثالث. بُرْك. هوميروس. اسحق نيوتن.

شيشرون . ملتون . الاسكندر المكدوني . بت . وشنطون . اغسطس قيصر . ولنتون . رفائيل . ده كارت . كولمبوس . كنفوشيوس . بن . ولتر سكوت . ميخائيل انجلو . سقراط . لورد بيرن . كرومول . غوتاما . كنت . ليبنتز . لوك . ديموستنس . ماري ستورت . كلفينوس موليير . لنكلن . لويس فيلب . دانتي . روسو . نيرون . فرنكلين . غاليليو . جنصن . روبسبير . فردرك الكبير . اوريليوس . هجل . بترارك . هوراس . كارلس الخامس الالماني . ميرابو . اراسموس . فرجيل . هيوم . غيزو . جبون . باسكال . بوسيه . هُبس . سوِفت . تيرس . لويس الرابع عشر . وردسورث . لويس السادس عشر . نلسن . هنري الثامن . اديصن . ثيسيديدس . فوكس . راسين . شلّر . هنري الرابع (فرنسا) . هرشل . تاسُّو . جفرصن . بطليموس كلوديوس . اوغسطينوس . بوب . مكياڤلي . سويدنبرج . فيلبس الثاني . ليوناردو ده ڤنسي . جورج الثالث . جوليان . فيثاغورس . ماكولي . روبنس . برنس . موزار . همبلت . كونت . كوزن . كيڤيه . يوستنيانُس . يوربيدس . كاموينس

من المئة الثانية — فنلون . كارلَيْل . بيوس التاسع . پت . هنيبال . سبينوزا . شاتوبريان . ابيلارد . دارون . مازارين . اليصابات ملكة الانكليز . اوڤيد . جان دارك . ليڤي . كورنيل . دالمبر . بطرس الاكبر . ماركو بولو . لينيوس . بالمرستون . لامرتين . تنيصن . فلوطرخس . شارلمان . ارستوفانيس . رشليه . فكتور هيغو . دزرائلي . يوجنّس . تيشيان . البيروني . دكنس . كبلر . تراجنس . قسطنطين الكبير . لافونتين . فان ديك المصور . مدام ده ستايل . ابقراط . ديدرو . نبير . جورج سند . طيباريوس قيصر . بيل . القيصر نقولا الاول . جون ستورت مِل . صوفقليس . وبستر . دوق ملبرو . سنيكا . كاڤور . بفون غُلْدسمث . القيصر اسكندر الاول . لويس الخامس عشر . رجرس باكن . بركليس . هيرودوتس

ومن الثالثة — داڤي . فردرك الثاني (المانيا) . كاترين الثانية (روسيا) . مرقس انطونيوس . لقريتيوس . بمباي . لافايت . كورتز . بيتوڤن . مدام ده سڤنيه . زينفون . هارفي . جوفنل . الفردوسي . غوتنبرج . غاريبلدي . اريوس . ابيقورس . متردات . ايرونيموس . كانوڤا . غاي لوساك . نيبهر . جمس وط . اراغو . لاغرانج . بنصن . ده فو . ركاردس الاول . بلينيوس الاكبر . ظاشيتوس . باسيليوس

ومن الرابعة — لونغفلو . منتسكيو . زروستر . فكتور عمانوئيل . بندار . فراداي . القيصر اسكندر الثاني . ماريا تريزا . وغنر . بريستلي . جوزفين . ثكري . كوبرنيكس . كارنو .

فيلو . ابن رشد . لويلا ماري انطوانت . وسلي . هملتن . ابن سينا . وشنطون ارفنغ . تيمورلنك . بكستر . همبلت . جنّر . ليبغ . اغاسز . محمد علي . ولسي . صولون . لافوازيه

ومن الخامسة — فيدياس . ارخميدس . ارمينيوس . ليكرغس. فرنكلين . جالينوس . السكندر ديماس . بلزاك . رشليو . رنان. ثيودوسيوس . ستروس . باخ . كاتو الاكبر . بنيان . انطونيوس بيوس . سترابو

ومن السادسة — اقليدس . محمد الفاتح. غمبتا .السلطان محمود . اكلمندس. هيرودس . تمسطكليس . رمفرد . طيطس . مدام رولان

ومن السابعة — صلاح الدين . جنكيزخان. مجلان. يوسيفوس. الامام علي. كرومول . بلينيوس الاصغر . لامارك. ڤولطا. كبريان. ديوكلتيان . جون هرشل

ومن الثامنة — صافو. ابامنداس. جورج اليوت. نيومن. كليوباطرة. زينون. اسبسيانوس. اغريبا. كلبر. ليل . كاسيني. لالند . هبرخس . فولنه

ومن التاسعة — نادرشاه . لڤنستون . ابكتتس . ملتس . كلود لورين . ثيوفريطس . امبدقليس

ومن العاشرة — السلطان سليمان. ايسوب. البرنس البرت. فردرك وليم (بروسيا) . سمونيدس

وقد اغفل الكاتب ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بان شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر

والناظر في سيَر هؤلاء المشاهير وغيرهم من الذين لم نذكر اسماءهم يرى انهم قلما يتفقون كلهم في امر من الامور فان بعضهم ورثوا العظمة والشهرة من اسلافهم وبرَّزوا فيهما ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر العربي

وانّي من القوم الذين همُ همُ ... اذا مات منهم سيد قام صاحبهُ
نجوم سماءٍ كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوي اليهِ كواكبهُ
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبهُ

او كما قال الآخر

انَّا لنبني على ما شيدتهُ لنا ... آباؤُنا الغرُّ من مجد ومن كرمِ
اني اذا كان قومي في الورى علَماً ... فانني علَم في ذلك العلَمِ

او كما قال الابيوردي

ورثنا العلى وهي التي خُلقت لنا ... ونحن خُلقنا للعلى والمحامدِ

ابًا فابًا من عبد شمس وهكذا الى آدم لم يمنا غير ماجدِ

ومنهم العصامي الذي يتغنَّى بقول الطغرائي القائل

وان كرُمت قبلي اوائل اسرتي فاني بحمد الله مبدأُ سؤددي

ومنهم من تُسنَد اليهِ العظمة وتلصق بهِ الصاقًا فيضفو عليهِ كالثوب الطويل على الرجل القصير. وقد يكون العظيم ذكيَّ الفؤاد وقد لا يكون ذكيَّ الفؤاد عظيمًا. وقد يعمل المرءُ اعظم الاعمال ولا تبلغ شهرتهُ شهرة من يأْتي بعدهُ ويبني على اساسهِ كما ترى في السيرتين المنشورتين في هذا الجزء فان صاحب السيرة الاولى شيخ من نوابغ العلماء واذكاهم عقلاً قضى العمر في كشف الغوامض الطبيعيَّة والرياضيَّة ووضع الاساس لكثير من اعظم المباحث العلميَّة والمكتشفات العصريَّة. والثاني شاب استتبَّ لهُ ان يستفيد من اكتشاف عالِم آخر ويستخدمهُ لنقل الاخبار والآن لا يذكر اسم الاول مرةً حتى يذكر اسم الثاني الف مرة

وهذه الشهرة التي حازها الثاني وفاق بها الاولَ لم تنتج عن كدهِ وجدهِ ولا عن استعدادهِ الاكتسابي والوراثي بل عن توفيق غريب الى ما منهُ نفع كبير ويمكن ان يكون استعمالهُ واسع النطاق جدًّا. وقس على ذلك كثيرين من الذين اشتهروا فاسروا الالسنة والاقلام حتى تغنَّت بمدحهم وسطّرت اعمالهم في بطون الاسفار

ومزية الاسلوب الذي اختارهُ الاستاذ كاتل لترتيب المشاهير وتبويبهم انهُ خالٍ من الغرض من حيث اعتبار اصحاب هذه السير في عيون الاوربيين والاميركيين كأن جامع هذه الاسماء قاس شهرة اصحابها بالمتر والشبر ولم يتغرَّض لابناء جلدتهِ ولا تعصَّب على غيرهم وياحبذا لو استتبَّ لهُ ان يراجع بعض المعجمات العربيَّة كوفيات الاعيان او لو لم يكتفِ بالمعجمات بل تناول كتب السير العموميَّة والخصوصيَّة حتى يكون البحث اتم واقرب الى الصواب. لكنهُ اول مَن شرع في هذا البحث على هذا الاسلوب وعسى ان يقوم بعدهُ مَن يجبر نقصهُ

غير انهُ قال ان جمع هذه الاسماء جاء على سبيل العرض وانهُ لا يعلق عليهِ شأْنًا كبيرًا ولكنهُ رآهُ مفيدًا في البحث عن الازمنة التي يظهر فيها المشاهير فوجد ما يراهُ كل مَن ينظر في تاريخ المشاهير وهو انهم ظهروا في ادوار متوالية ظهروا اولاً في دور اليونان فقام هوميروس وهسيود وليكرغس وتبعهم العمران اليوناني بفلاسفتهِ وعلمائهِ وشعرائهِ وصنَّاعهِ وابطالهِ ثم انحط بغتةً في القرن الثاني قبل المسيح وقام الرومان وبلغوا اوج عظمتهم في القرن الاخير قبل المسيح والقرن الاول بعدهُ وانحطُّوا رويدًا رويدًا الى ان دالت دولتهم في القرن الخامس والسادس ثم مضت ستة قرون او سبعة لم يرَ الكاتب في معجماتهِ ما يدلُّ على شيءٍ من الارتقاء في اوربا

وهو مصيب في ذلك ولكنهُ لو فتَّش المعجمات العربيَّة لوجد ان هذه المدة التي حسبها انحطاطاً تامًّا في ربوع اوربا كانت زاهية زاهرة في كل الممالك العربية فقام منهم الشعراء والفقهاء والعلماء والفلاسفة والقواد وارباب السياسة والتجارة ثم دالت دولتهم منذ نحو خمس مئة سنة وعادت شمس العلم والشهرة الى ربوع اوربا في اوائل القرن الرابع عشر ولم تختص بامَّة واحدة من امها بل شملتها كلها تقريباً ومن ثم اخذ عدد المشاهير فيها وفي اميركا يتزايد على نسبة هندسيَّة ولكن ليس على معدل واحد فيها كلها ولا كان هذا التزايد مستمرًّا بل وقعت فيهِ فترات كثيرة كما حدث في اواخر القرن السابع عشر ثم عاد حتى بلغ اشدَّهُ في زمن الثورة الفرنسويَّة لانها مهدت السبيل لاشتهار القواد العظام ولولاها ما بلغوا الشهرة التي بلغوها

ويظهر من النظر في جنسيَّة هؤُلاء الالف من المشاهير ان ٢٦٣ منهم من الفرنسويين . ٢٤٤ من الانكليز و ١٠٤ من الالمانيين و ٧٧ من الايطاليين و ٧٤ من الرومانيين و ٦٨ من اليونان و ٣٢ من الاميركيين ويأتي بعد الاميركيين الاسبانيون فاهالي سويسرا فهولندا فاسوج فروسيا فبقية الامم واذا قصرنا النظر على الخمس مئة الاولين او على المئة الاولى منهم فقط فاق الانكليز الفرنسويين وفاق اليونان الالمانيين

ثم ان الطرق التي اشتهر بها هؤُلاء المشاهير مختلفة فبعضهم اشتهر بالعقليات كالعلماء والفلاسفة وهؤُلاء كانوا على اقلهم في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة بالغة في آخرهِ ووقفوا او انحطوا قليلاً الى آخر القرن الخامس عشر وزادوا بعد ذلك الى اواسط القرن السادس عشر ثم وقفوا الى اواخرهِ واخذوا بعد ذلك يزيدون زيادة سريعة جدًّا

وبعضهم بالادبيات كالشعراء والمغنين وهؤُلاء لم يكونوا شيئاً مذكورًا في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة مستمرة الى اواسط القرن السادس عشر وانحطوا كثيرًا الى اواخرهِ ثم زادوا زيادة سريعة مستمرة

وبعضهم بالحرب والسياسة ونحو ذلك من الاعمال وهؤُلاء زادوا في اواخر القرن الرابع عشر ثم نقصوا قليلاً من اواسط الخامس عشر الى اواخرهِ وزادوا بعد ذلك في اواسط القرن السادس عشر وانحطوا في اواخرهِ ثم عادوا الى الزيادة السريعة المستمرَّة حتى بلغوا اعظمهم في اواخر القرن الثامن عشر

وتختلف الامم الاوربيَّة ايضاً في نوع الشهرة التي يشتهرها رجالها فاكثر مشاهير الانكليز من رجال السياسة واكثر مشاهير الفرنسويين من قواد الجيوش واكثر مشاهير الايطاليين من المصورين ويقال جملة ان انكلترا فاقت غيرها في السياسة والشعر والفلسفة وفرنسا في قيادة الجيوش

والعلم والانشاء وايطاليا في التصوير والمانيا في الموسيقى . والموسيقيون العظام ١٨ عشرة منهم المانيون وستة ايطاليون . ومكتشفو البلدان العظام اربعة عشر خمسة منهم انكليز واربعة اسبانيون

وبلغ عدد الشهيرات في الالف الذين ذكرهم ٣٢ فقط احدى عشرة منهنَّ ملكات شهرتهنَّ وراثيَّة على نوع ما و٨ اشتهرنَ بجمالهنَّ او بما حلَّ بهنَّ من الرزايا او بنحو ذلك و١٠ اشتهرن بالانشاء ثلاث منهنَّ في الخمس مئة الاولى والمشهورون من الرجال فيها بالانشاء ٧٢

وواضح ممَّا تقدَّم ان الكاتب اقتصر على المشاهير الذين لم يكونوا احياء حينما نُشرت الانسكلوبيذيا البريطانية منذ نحو عشرين سنة

هذا ومن المقرَّر ان نوع الانسان مديون لهؤلاء المشاهير بما حازهُ من الارتقاء علماً وعملاً فاذا كان ظهورهم بين الامم خاضعاً لناموس من النواميس الطبيعيَّة فالبحث عنهُ واجب حتى اذا عُرف استطاعت الامم ان تكثر مشاهيرها فيزيد بهم تقدمها وارتقاؤها . وقد استطاع الانسان ان يجري على مثل هذا الناموس في تربية النباتات والحيوانات فولَّد منها اصنافاً فائقة في جودتها ولعلَّهُ لا يستطيع ان يتصرف في نسلهِ تصرُّفهُ في النبات والحيوان ولكنهُ يستطيع امراً لا يلام عليهِ بل يلام اذا لم يعتدَّ بهِ وهو ان يبسط موائد العلم والعرفان لدى ابناء نوعهِ على حدٍّ سوى اغنياء كانوا او فقراء . ثم يختار النجباء منهم ويمهّد لهم كل سبل العلم والارتقاء حتى يفوز ذوو العقول الثاقبة والاستعداد الفطري للارتقاء كلٌّ في ما اهَّلتهُ الفطرة لهُ فتنتفع بلادهم منهم النفع الاكبر

ثم ان الشرقي الناظر في السطور المتقدمة يرى فيها ما يخيفهُ . يرى ادلَّة واضحة على ان للامم اعماراً كما للافراد يرى ان اليونان الذين دوَّخوا المسكونة في القرن الرابع قبل المسيح ونشروا فيها لسانهم وفلسفتهم وقام منهم اكبر الشعراء والفلاسفة الذين لا نزال نستقي من معين فلسفتهم الى الآن واعظم القواد الفاتحين والساسة المحنَّكين الذين يقتدى بهم في كل زمان ومكان عاشوا كامَّة عظيمة بضع مئات من السنين ثم لم تقم لهم قائمة بعد ذلك . والرومان الذين اقتفوا خطواتهم وملكوا المسكونة ونشروا فيها شرائعهم وقوانينهم وبلغوا من العمران حدًّا قلَّما تعدَّاهُ من تبعهم عمَّروا ايضاً بضع مئات من السنين ثم دالت دولتهم . وقام بعدهم العرب فملكوا الخافقين واحيوا علوم اليونان ونشروا لواء العدل وقام منهم نوابغ الرجال ولكن دولهم عمرت بضع مئات من الاعوام ثم دالت وقامت بعدها الدول الاوربيَّة التي نراها لهذا العهد بين شيخ وكهل وشاب . فهل قضي على الامم القديمة والامَّة العربيَّة في جملتها حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن ذلك بحث كبير نرجئهُ الى فرصة أُخرى

طبائع الغربان

وقفنا في مجلة القرن التاسع عشر على مقالة لاحد كتّاب الانكليز وصف فيها الغربان احسن وصف فاعتمدنا عليها وعلى ما كتبهُ علماءُ الطيور في جمع هذه السطور والحقناها بما قالهُ الجاحظ وغيرهُ من الذين كتبوا في طبائع الحيوان من العرب فنقول

الغربان طائفة كبيرة صوّرنا خمسة من انواعها في صدر هذه المقالة . والغراب الحقيقي منها الذي يُضرَب بهِ المثل في السواد الفاحم كقول عنترة العبسي

فيها اثنتان واربعونَ حلوبةً ســودًا كخافية الغراب الاسحم

مرسوم في اسفلها في الطرف الايمن وقد افترس ارنبًا وهو يمزق لحمها بمنقارهِ

هذا اكبر انواع الغربان واقواها واجرأُها واحذرها وامهرها واشرهها واعقلها اذا صحَّت نسبة العقل الى الحيوان الاعجم بل هو اعقل انواع الطيور كلها كما يقول كثيرون من علماء الحيوان

نظر اليهِ اهالي الجنوب نظر الشؤم من قديم الزمان من قبل ان عُرِف شيءٌ عن العرب وشعرهم من عهد اليونان والرومان فكانوا يتطيرون بهِ و يستدلون بطيرانهِ على ما خُبّئَ لهم في زوايا المستقبل من البلايا. وعلى ضدهم اهالي الشمال فانهم حسبوهُ طائر معبودهم الاكبر ورفيقهم في حلهم وترحالهم . وروى عنهُ الحكماءُ روايات شتّى اودعوها اسرار الحكمة كما ترى في كتب

بيدنا (كليلة ودمنة) واسوب الحكيم اليوناني وببريوس ناظم قصصهِ وفدرس مترجمها الى اللاتينية
وهو منتشر في اكثر القسم الشمالي من الكرة الارضية في اربعة اخماس اسيا وفي كل اوربا واميركا الشمالية وفي الجانب الشمالي من افريقية كانهُ حليف العمران فلا يوجد في اميركا الجنوبية ولا في الطرف الجنوبي من اسيا ولا في اكثر افريقية ولا في استراليا والجزائر المجاورة لها . وواضح من ذلك انهُ يحب البرد ويكره الحر فيكثر في اقاصي الشمال حتى الدائرة المتجمدة الشمالية . ونحن نكتب هذه السطور وعش غراب مصري (وهو نوع من الزاغ) امامنا في شجرة تعصف بها الرياح لكن عيدانهُ محكمة الوضع لا تقع ولا تتقاقل وقد مضى عليهِ خمس عشرة سنة يربي فراخهُ فيهِ ويقلقنا بنعيبهِ صيف شتاء فيذكرنا غربان لبنان وهي تجتمع عصائب وتخالف الفلاَّح الى زرعهِ ثم تحلّق في الجو فتدوي بنعيبها القيعان وواقيها من رصاص البنادق حذرها الشديد وكراهة لحمها فانهُ لا يؤكل ولا ينتفع بهِ حتى قال الشاعر العربي

فما لحم الغراب لنا بزاد ولا سرطان انهار البريصِ

اما حذرها فيروي عنهُ اهالي الجبل قصةً يقولون فيها قال الغراب لابنهِ اذا رأيت ابن آدم انحنى الى الارض ليلتقط حجرًا فاهرب منهُ حالاً فقال ابنهُ انني اهرب حالما اراه لانهُ قد يكون الحجر في جيبهِ

والناظر الى الغراب بلونهِ الساحم ومنقارهِ الغليظ يظنهُ من ابلد الطيور وابعدها عن الظرف والفكاهة والفطنة والذكاء وهو ليس كذلك . يحجل حجلاً كأنهُ يرقص رقصًا ويقول العامة انهُ اراد ان يتعلم مشية الحجل فعجز عنها ونسي مشيتهُ الاولى فصار يثب وثبًا يضربون ذلك مثلاً لمن يتطاول الى ما فوق طولهِ فيعود بالخسران . ويقول العرب ان مشيتهُ كذلك من قبيل الزهو قال بعضهم

اجمعتُ انكَ انتَ الأَمُ من مشى في فحش مومسة وزهو غرابِ

والحقيقة ان رائدهُ في مشيهِ التفتيش عن القوت. قال فرجيل الشاعر الروماني ما ترجمتهُ

ويحجل في رمال البحر يسعى فريدًا شأنهُ عِظم وكِبْرُ

وعين الغراب صافية على صغرها حتى قالوا اصفى من عين الغراب وفي ذلك يقول الشاعر

اذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدَّرِ

والوقيعة المكان الصلب الذي يمسك الماء فيبقى صافيًا فيهِ

ومنخراهُ صغيران لكنهما يكفيانهِ لاسترواح الفرائس من بعيد تعاونهما عيناهُ في ذلك . وهو اسود كلهُ ما خلا عينيهِ اما الغراب المصري المعروف بالزاغ فبطنهُ وجانب من ظهرهِ رمادبان

الى الزرقة . وقد بلغ السواد من الغراب الاسود ان منقارهُ اسود ايضاً ظاهرهُ وباطنهُ كانهُ لم يشأ ان يرتدي غير السواد حلَّةً . لكن الغراب الذي كان شائعاً في بلاد العرب كان اكثرهُ من نوع الزاغ على ما يظهر وهو الغراب الابقع الوارد في قول عنترة العبسي

ظعن الذين فراقهم اتوقَّعُ وجرى ببينهم الغراب الابقعُ

ولذلك اذا ارادوا التشبيه بالسواد شبهوا بخافيتي الغراب وقلَّما شبهوا بهِ كلهِ . لكن الغراب الاسود كان معروفاً ايضاً عندهم بدليل قول النابغة

زعم العواذل ان رحلتنا غدًا وبذاك خبَّرنا الغرابُ الاسود

ولعلَّ لونهُ الاسود هو الجاني عليهِ حتى عُدَّ من طيور الشؤْم عند فريق كبير من الناس او عند اهل الجنوب بنوع خاص اما اهالي الشمال فنظروا الى لمعان ريشهِ واتخذوهُ مثال الجمال وشبهوا بهِ غدائر الحسان

من خرافات الرومان ما رواهُ اوڤيد عن سبب اسوداد الغراب قال كان المعبود ابلون يعشق كورونس وكان الغراب صديقهُ وسميرهُ وهو ابيض كالثلج فاكتشف الغراب ذات يوم ان كورونس تهوى غير عشيقها فنمَّ بها اليهِ فاتَّقدت الغيرة في قلب ابلو ورشقها بسهم اصاب فؤَادها ثم ندم على ما فعل وحاول علاجها فلم يغنِ العلاج شيئًا فدار الى الغراب النمام وحوَّلهُ من البياض الى السواد . فقالوا لسان المرءِ يسوّدُ عرضهُ

وروى اوڤيد عنهُ قصةً اخرى تدلُّ على سوءِ الظن بهِ قال بعث بهِ ابلون ذات يوم يستقي لهُ ماءً يسكبهُ في عيد المشتري فطار الى عين ماءٍ فرأَى فوقها تينة والتين غير ناضج فيها فانتظر الى ان نضج وملأَ بطنهُ منهُ ثم رأَى حية كبيرة فقتلها وعاد الى مولاهُ بقصعة الماءِ والحية واخذ يعتذر عن سبب غيبتهِ بقولهِ رأَيت هذا العدو يمنعني عن الاستقاءِ فقتلتهُ واتيتك بهِ . فزجرهُ ابلون قائلاً اخسأ يا خبيث أَلا تخجل ان تضيف الكذب الى ذنبك من الآن فصاعدًا لا تذوق الماءَ ما دام التين في اشجارهِ . قال اوڤيد ومن ثم وُضعت الحيَّة والقصعة والغراب بين كواكب السماء . اساطير وضعوها كناية عن حكمة ارادوها

وظن القدماءُ ان الغراب الابيض من المستحيلات كالغول والعنقاءِ والخلّ الوفي ورووا ان فلنتوس لما كان محصورًا في مدينة رودس قال لهُ الوحي ستبقى المدينة لك الى ان يشيب الغراب وبلغ خصمهُ ذلك فامسك غرابًا وطلاهُ بالجبس واطارهُ نحو المدينة فلما رآهُ فلنتس خارت عزائمهُ وسلَّم المدينة الى عدوهِ . وقال بعض السيَّاح انهم شاهدوا غربانًا بيضاءَ في جزائر الهند الغربية وقال الكاتب انهُ رأَى غرابًا ابيض في دار التحف البريطانية

وطعام الغراب الحشرات والهوام التي يشكو منها ارباب الزراعة فمنهُ نفع كبير من هذا القبيل لكنهُ يسطو احياناً على الحبوب والاثمار وهناك معظم ضررهِ . واحبُّ طعام اليهِ الجرذان لكنهُ لا يعفو عن الارنب وقد يسطو على صغار الحملان. قال بعضهم انهُ رأى غراباً جاء صغارهُ بخمسة خرانق في ساعة من الزمان (والخرانق صغار الارانب) واذا لم يجد صغار الحيوان سطا على عشاش الطيور وسلب بيضها ولكن يقال انهُ لا يسطو على عشاش جيرانهِ بل على عشاش الغرباء. وقد يعفو عن الهوام القريبة من وكرهِ ويقصد ما كان بعيدًا عنهُ . واذا قصد حيواناً كبيرًا كالارنب او الحمل بادرهُ بضربة تفقأُ عينيهِ ثم كسر رأسهُ وافترسهُ خلافاً لما قالهُ الجاحظ من " انهُ لا يتعاطى الصيد واذا اصاب جيفة نال منها والاَّ مات جوعاً "

والظاهر انهُ مغرم بالجيَف فاذا استروح جيفة او رأى جثة حيوان وقع على بعد منها ونعب والتفت يمنةً ويسرةً فاذا لم يزجرهُ احد دنا منها رويدًا رويدًا وهو ناظر اليها بملء عينيهِ لئلاَّ تكون حيَّة او تكون طعماً وراءهُ فخٌ او شرَك ثم ينعب ويتقدَّم الى ان يقع على الجثة فيفقأُ عينيها وينزع لسانها او قطعةً اخرى من لحمها ويبتلعها وحينئذٍ يكون غراب آخر قد سمع نعيبهُ واتى يشاركهُ في وليمتهِ وتبعهما غيرهما فتقبل كلها على الجيفة تبقر بطنها وتمزق احشاءها وتتردَّد عليها يوماً بعد يوم وساعة بعد اخرى حتى لا تبقي منها الاَّ العظام وقد يأتي الكلب والثعلب ويشاركانها في وليمتها فلا تستاء منهما

وليس الغراب من الطيور التي تتجمَّع عصائب كالوز واللقلق ولا يسمح لاولادهِ ان تساكنهُ بل يطردها حالما تصير قادرة على السعي لنفسها ولكنهُ اذا وقع على جيفة نسي الاثرة وصار اشتراكيًا حتى لقد يجتمع مئة غراب على جيفة واحدة الى ان لا يبقى منها غير عظامها

قيل رأى اهل جزيرة صغيرة ان الغربان كثرت في جزيرتهم فامسكوا بعضها ونتفوا ريش ابدانها وتركوا ريش اجنحتها واذنابها واطاروها فلما رأت اخواتها ما حلَّ بها غادرت الجزيرة لا تلوي على شيءٍ كأنها اتعظت بذلك واعتبرت

وقال الكاتب انهُ رأى الغربان تتجمَّع معاً في اثينا ورأى نحو سبعين غراباً منها مرة واحدة ولا جيفة امامها وفي ظنهِ انها فراخ اجتمعت لتتزاوج حتى يختار كل زوج زوجتهُ وكل زوجة زوجها ورفيق عمرها لان الغربان لا تعرف الطلاق ولا الهجران بل يعيش الزوج مع زوجتهِ مدى العمر

وقد رأينا مثل هذا المنظر مرارًا في سفوح لبنان وفي حديقة الازبكية في هذه العاصمة حتى يظن من يراها انها اجتمعت لتتشاور في مهامها او تحاكم احد الجناة من ابنائها على ما يُروَى عنها . وستأتي تتمة الكلام في الجزء التالي

الربو وعلاجهُ

كتب هذه المقالة طبيب انكليزي مشهور في مجلَّة انكليزيَّة عمومية حتى يستفيد من مطالعتها جمهور القراء فلخصنا منها ما يلي

الربو ويقال لهُ الازما ايضاً (من كلمة يونانية معناها الشهيق) مرض معروف يكثر حدوثهُ بين المتعلمين والمترفهين وهو نوعان اصلي او عصبي وثانوي او عرضي

وكان الدكتور ترسُّو الفرنسوي الشهير مصاباً بهِ فوصف كيفية نوبتهِ وصفاً بديعاً قال فيهِ . يذهب المصاب الى فراشهِ على جاري عادتهِ غير شاعر بشيءٍ وينام سريعاً وبعد ساعة او ساعتين يستيقظ مقطوع النفَس كأنَّ شيئاً ضغط على صدرهُ وطبقهُ يشهق شهيقاً فيهِ صفير وازيز يُسمع عن بُعد. ثم تزيد الحالة شدَّة فيجلس ويلقي رأسهُ على كفيهِ ويسند مرفقيهِ على فخذيهِ ويحمر وجههُ ويزرق وينتفخ وتجحظ عيناهُ وتتوتر عضلات عنقهِ التي لا يظهر فعلها في التنفُّس العادي ويندى جلدهُ بالعرق . وقد يريحهُ الهواء النقي ولكن النوبة قد تطول بضع ساعات وحينما تنتهي يعود اليهِ سبات النوم . وتتكرَّر النوبة ليلة بعد ليلة ولا يشعر بشيءٍ في غضون النهار

﴿سبب الربو﴾ الميل اليهِ وراثي في الغالب بين الخامسة عشرة والثلاثين والنساء اميل اليهِ من الرجال وبعد الثلاثين يصير الرجال اميل اليهِ من النساء . والاصلي او العصبي يكثر قبل السنة العاشرة والخطر منهُ نادر . والثانوي او العرضي لا يرى الاَّ في البالغين ويزيد بهِ خطر الداء الذي يسببهُ فهو اشد خطرًا من الاول

وقد يكون سبب العصبي في الانف او في الحلق ويعلم ذلك بنوم الصغار وافواههم مفتوحة وهم يتنفسون من افواههم او بوجود الخلل في سمعهم

وقد يصاب البعض بالربو من شمهم رائحة بعض الحيوانات كالقطط والثيران والارانب والخيل بل من شمهم رائحة الناس المتجمعين في اماكن مزدحمة . ويصاب بعضهم من شمهم بعض الطيوب كرائحة البنفسج والاقحوان والمسك ومن شربهم بعض الادوية كعرق الذهب والحامض السليسيليك

ويصاب بهِ البعض من اشتغالهم ببعض الحرف التي تستدعي لمس المعادن كالرصاص والزيبق والزرنيخ والقصدير. وتحدث نوبهُ احيانًا من الانفعال الشديد. والامراض التي تحدث

الربو كثيرة ومنها البول السكري والنقرس والروماتزم وامراض القلب والرئة والكبد والكليتين والدماغ وسوءِ الهضم والديدان

وقد تحدث نوبة الربو من اكل بعض الاطعمة كالكبد المقلو والخبز الجديد والبيض ولحم الاصداف البحرية واللحم الذي ابتدأَ فيهِ الفساد

ووُجدت ميكروبات مرضيَّة في نفث المصابين بالربو ولكن لا يعلم هل كان وجودها عرضاً او كانت من المهيجات لنوب الربو

وعُلم الآن ان السبب المباشر للنوبة هو تشنج العضلات المبطنة للشعب الرئويَّة الدقيقة فيوجَّه العلاج الى منع هذا التشنج او الى بسط تلك العضلات بعد تشنجها

وقد تلتبس نوبة الربو في الصغار بضيق التنفُّس الناتج عن تضيق الحنجرة او القصبة بمادة دفثيرية فيجب الفرق بينهما فان كان ضيق النفس ناتجًا عن الدفثيريا رأَيت الراس مدفوعاً الى الوراء والضيق حادثاً في الشهيق وان كان ناتجاً عن الربو انحنى الرأس الى الامام ويكون ضيق التنفُّس في الزفير اي في اخراج الهواء من الصدر

ويخشى من الربو لانهُ يتعب الرئتين والقلب والكليتين ونحوها من الاعضاء ولذلك تخشى عواقبهُ ولو كان غير قتَّال بنفسهِ هذا اذا كان اصليّاً . واذا كان ثانوياً زادت شدَّة المرض الذي يسببهُ فزاد خطرهُ

واذا طالت النوبة كثر الحامض الكربونيك في الدم فسمَّمت بهِ مراكز الدماغ المتسلطة على التنفُّس فتنبسط عضلات الجسم بعض انقباضها وفي جملتها عضلات الشعب المار ذكرها فيزول انقباضها ويسهل التنفُّس . اي ان اشتداد النوبة يزيلها . ومن ثم تعلم الطريقة التي يمكن ان تعالج بها هذه النوَب حتى تزول

﴿ علاج الربو ﴾ لقد تعدَّدت الادوية التي يعالج بها الربو لتعدد اسبابهِ ولذلك لا يصح الاعتماد على علاج واحد في جميع الاحوال . وتقسم طرق العلاج الى قسمين قسم يستعمل وقت الفترات لمنع النوب وقسم يستعمل وقت النوب لازالتها سريعاً

ومن الاول ازالة الاسباب اذا امكن ومن هذه الاسباب بقاءُ الطعام في المعدة غير مهضوم فيزال منها بمقيء او بمسهل . ومنها وجود الدود القرعي في الامعاءِ فيزال بطاردانهِ . ومنها تضخُّم اللوزتين او غيرهما من الغدد او وجود نام في الانف ولا بدَّ من ازالة هذا السبب . واذا لم يظهر السبب وكان في الجسم مرض آخر وجب ان يعالج بسرعة حتى يزول او حتى يخف . ومنها نوع الهواء بين ان يكون جافًّا او رطباً حارًّا او بارداً نقياً او غير نقي

فان المصاب بالربو في مكان هواؤُهُ رطب قد يستفيد من مكان هواؤُهُ جاف والضد بالضد. والمصاب في مكان هواؤُهُ كثير الدخان قد يستفيد في مكان لا دخان في هوائهِ والضد بالضد. وكذلك صناعة الانسان قد تؤَثر فيهِ فاذا ثبت ذلك وجب تغييرها

اما من حيث الطعام المناسب للمصابين بالربو فالآراء مختلفة كثيرًا لان الباحثين لم يهتدوا حتى الآن الى ما يثبت افضلية نوع على آخر ولذلك يترك الامر الى اختبار المصاب

﴿علاج النوَب﴾ اذا خابت الوسائل التي تمنع حدوث النوبة فالوسائل التي تخففها او تقصر مدتها لا تخيب غالبًا وهي على ثلاثة انواع الاول وسائل عموميَّة والثاني وسائل تمنع التشنج مباشرة والثالث وسائل تأُول الى منع التشنج. فمن الوسائل العمومية فك الثياب ولزق بزر الكتان. واذا طالت النوبة فيستعمل للصغار دهان مركب من جزءٍ من زيت العمبر وثلاثة اجزاء من الزيت المكوفر وللبالغين ثلاثة اجزاء من التربنتينا و ٦ اجزاء من مذوب الامونيا و ١٠ اجزاء من زيت الزيتون يدهن بها الصدر والظهر مرارًا

وقد يفيد فنجان من القهوة. ويفيد ايضًا رش باطن الانف بمذوب الكوكايين. وتوجد علاجات اخرى مثل المورفيا والكلورال ويوديد البوتاسيوم وبروميدهِ والفاليريانا. اما المورفيا والكلورال فيترك وصفهما وكيفية استعمالها للطبيب واما يوديد البوتاسيوم فيستعمل من نصف قمحة الى قمحة ونصف والبروميد من قمحتين الى خمس قمحات وصبغة الفاليريانا النشادرية من خمس نقط الى ١٥ نقطة تمزج هذه الادوية معًا وتستعمل مع الماء المحلى بالسكر حتى تصير الجرعة نحو ستة دراهم والجرعة الصغيرة للاولاد من ابن ست سنين فنازلًا والكبيرة لاولاد ١٤ سنة وما بينهما لمن سنهُ بين بين. والذين سنهم اكبر من ذلك الى ٥٥ سنة يمكنهم ان يأْخذوا خمس قمحات من يوديد البوتاسيوم وعشر قمحات من بروميدهِ وعشرين الى ستين نقطة من الفاليريانا في ما يكفي من الماء حتى تصير ٨ دراهم مرةً كل اربع ساعات

ويوضع نيترات الاميل في كبسول زجاجي في الكبسولة ٣ نقط الى ٥ وتكسر الكبسولة في منديل ويستنشق بخارها. والصداع الشديد الذي ينتج عنهُ لا يطول بل يزول حالًا باستنشاق الهواء النقي

اما الوسائل التي تأُول الى منع الشنج فقاعدتها ملح البارود يستنشق بخارهُ في ساكير او يحرق بالنار ويستنشق بخارهُ رأْسًا. او يبلّ قرطاس نشاش بمذوبهِ ويجفف ويحرق ويطفأْ ويترك حتى يشتعل بدخان كثيف ويستنشق دخانهُ. واحسن مزيج منهُ جزءان من مسحوق الستراموتيوم وجزء من مسحوق اليانسون وجزء من مسحوق ملح البارود. يجفف كل

نوع منها على حدتهِ ثم تخلط معًا . واذا كان المصاب لا يدخن التبغ فقليل منهُ مع هذه المواد يفيده ُ جدًّا يوضع نحو درهم من المخلوط في مُحفة ويحرق ويستنشق دخانهُ

وتدخين التبغ يفيد الذين لا يدخنون ولكن اذا كان التبغ ممزوجًا بالمواد المتقدم ذكرها كانت فائدتهُ اتم

والزرنيخ من الادوية المفيدة جدًّا ولكن لا يجوز استعمالهُ الاَّ بامر الطبيب وحسب ما يشير بهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

اتحفتنا حضرة السيدة الكريمة ادلا ورتبات كريمة استاذنا الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات بمقالات كبيرة الفائدة في هذا الموضوع فعربناها لننشرها في باب تدبير المنزل تباعًا لان تمريض المرضى منوط اكثرهُ بربَّة المنزل فهي التي تسهر على زوجها وولدها اذا مرضا وهي التي تعاون الطبيب في استعمال الدواء الذي يصفهُ لها وعلى درايتها وعنايتها يتوقف نجاح العلاج

تمهيد

التمريض صناعة رائدها الحب لكن الحب لا يفيد بلا علم ولاسيما اذا كانت حياة المريض وموتهُ وراحتهُ وتعبهُ في يد الممرّضة

ولم تتعلَّم النساء في هذه البلاد كيفيَّة تمريض المرضى حتى الآن ولكن جاءتها بعض الممرضات من البلدان الاجنبيَّة وعسى ان يجبَر هذا النقص مع الزمان فتكثر الممرضات اللواتي تعلمنَ صناعة التمريض ومارسنَها كما هنَّ في انكلترا واميركا حيث ترى الممرضات الماهرات في المستشفيات وفي بيوت الاغنياء والفقراء يمرّضنَ المرضى ويطيبنَ النفوس

ولم اكتب هذه الفصول للمرّضة التي تعلمت صناعة التمريض ومارستها بل لربَّة المنزل التي يدخل المرض بيتها وتجد نفسها مغلولة اليدين لا تعلم ماذا تفعل لراحة الذين تحبهم وتخفيف آلامهم . فقد تكون من الاغنياء تستدعي لمريضها امهر الاطباء فيعودهُ مرةً او اكثر في

اليوم لكنها لا تتعلَّم منهُ كيف تسوس المريض في غيبتهِ ولا كيف تخفف آلامهُ ولا يطمئن بالها لحظة ما دامت تجهل سير المرض وكيفيَّة استعمال العلاج . كم من امٍ وأُخت وزوجة تقف امام سرير مريضها تودُّ لو تفتديهِ بنفسها لتخفيف آلامهِ لكنها لا تستطيع ان تفعل شيئاً لانها تجهل ما تريد فعلهُ فلها اكتب هذه الفصول راجيةً ان يكون منها النفع المراد

سمعت بالامس امرأة تتحسَّر على جارتها وتقول واحسرتاه عليها فقد مات ابنها وهو شاب ويقول الاطباءُ انهُ لو أُرسل الى المستشفى لشفي من مرضهِ ولكن ماذا كان يمكن ان يُفعَل لهُ في المستشفى اكثر ممَّا فعلتهُ امهُ . جلست عند رأسهِ شهرًا كاملاً نهارًا وليلاً لم تأكل ولم تشرب ولم تنم ولم تفارقهُ لحظةً . فهل كان في امكانها ان تفعل لهُ اكثر من ذلك

فلم اقل لها شيئاً بل اخذت افكر في حال تلك الامّ وكيف كانت تجهل وصايا الطبيب وتغفل اعطاء الدواء والغذاء لابنها في الاوقات المعينة وكأني كنت ارى ذلك الشاب ويكاد جوفهُ يلتهب من العطش وامهُ واقفة فوق سريرهِ لا تعطيهِ شربة ماء لان امرأةً من جاراتها قالت لها ان الماء البارد يضرُّهُ . ونساء الحي كلهنَّ جالسات معها ولكلٍ منهنَّ كلام تقولهُ وراي تبديهِ وقد افسدنَ هواء غرفتهِ بتنفسهنَّ وصممن اذنيهِ باصواتهنَّ . افيعجب احد بعد ذلك من تغلُّب المرض عليهِ . أفلم ارَ امهات يطعمنَ اطفالهنَّ المرضى من طعامهنَّ بل يطعمنهم اطعمةً اغلظ من ذلك حمصاً ولوزًا ومسكَّرات ثم يقلنَ للطبيب ان دواءهُ لم يفدهم . وكيف يفيد الدواء والطفل يُطعَم هذه الاطعمة الغليظة ولا يعبأُ بقول الطبيب ونصحهِ

قواعد عامَّة

اذا دخل المرض بيتاً فلا بدَّ من حفظ هذه الامور الثلاثة وهي

اولاً الهدوءِ التام

ثانياً الترتيب التام

ثالثاً النظافة التامة والهواء النقي . وفي كل من ذلك كلام لا بدَّ من بسطهِ

﴿ الهدوءِ التام ﴾ لا يسمح لاحد من الاصدقاء والجيران في دخول غرفة المريض ولا يسمح لاحد في دخول البيت للعيادة اذا امكن لان كل صوت وكل لغط يضرُّ بالمريض . واذا تكلم الذين في غرفتهِ فليكن كلامهم همساً بصوت منخفض ولكن لا يجوز لاحد منهم ان يتكلم في اذن الآخر لئلاَّ يوجس المريض خيفةً فيظن انهم يقولون شيئاً يريدون ان لا يسمعهُ . فاذا كنتَ تريد ان تقول شيئاً لا تحب ان يسمعهُ المريض فلا تقلْهُ في غرفتهِ بل اخرج منها وقلْهُ خارجاً

﴿ الترتيب التام ﴾ اذا دخل البيت مرض من الامراض التي تطول مدتها كالتيفويد فعلى ربة البيت ان تقابلهُ بالحزم والسكينة وتستعد لهُ حالاً الاستعداد اللازم حسب مقتضى الحال واذا كان عندها اولاد صغار واستطاعت ان ترسلهم ليقيموا مع بعض الاقارب او الجيران فلتفعل ذلك من غير ابطاء

ولا بدَّ من اثنتين لتمريض كل مريض اذا كان مرضهُ شديداً واحدة للنهار وواحدة لليل ولكن لا يجوز لهما ان تمرّضاهُ معاً نهاراً وليلاً ولا بدَّ للمرضتين من اناس يقومون مقامهما حينما تأكلان وتخرجان للنزهة. وعلى الممرضة (او الممرض) ان تراعي شروط النظافة التامَّة لان النظافة لازمة لها وللمريض ايضاً وان تعتني بنفسها الاعتناء التام حتى يبقى فكرها رائقاً بعي ما يقولهُ الطبيب لتعمل بهِ. وحينما يأتي الطبيب فلتقابلهُ ممرضة واحدة وتخبرهُ عن المريض واما العادة الجارية وهي ان يقابلهُ كل اهل البيت ويخبرهُ كلٌّ منهم خبراً مخالفاً للآخر فليست من الحكمة في شيء. وعلى كل ممرضة ان تخبر الاخرى بما حدث مدة قيامها على خدمة المريض وما فعلتهُ لهُ حتى تكون كلٌّ منهما عارفة بسير المرض وفعل العلاج

ويحسن بالطبيب ان يعلّم الممرضة كيف تستعلم درجة حرارة المريض في اوقات معينة وتكتبها لهُ فان ذلك يساعدهُ في معالجتهِ

﴿ النظافة التامة ﴾ ان القوانين الصحيَّة تمنع المرض واذا عجزت عن ذلك فانها تردُّ الصحة بعد حدوث المرض. ان بعض النساء يكثرن من الغسل والمسح ولكنهنَّ يضعن فضلات الطعام والثياب الوسخة في الخزائن وتحت المقاعد والسرائر ولا يسألنَ عنها. وكثيراً ما تكون مرافق بيوتهنَّ غير محكمة فتجدها مملوءة بالغازات الفاسدة. وما عسى ان اقول عن الناس الذين لا يغتسلون ولا يعرفون ما هي النظافة فتجد ابدانهم قذرة وغرفهم وسخة ومرضاهم في حالة يرثى لها من القذارة والوساخة. قابلْ بينهم وبين مرضى المستشفيات فانهُ حالما يؤتى بالمريض الى المستشفى تنزع عنهُ ثيابهُ ويغسل بدنهُ اذا كان مرضهُ لا يمنع ذلك والا أُلقي على مقعد فوق ملاءة نظيفة ومسح بدنهُ جيداً كما سيجيء في الكلام على غسل المصابين بالتيفويد ثم ينشف بمناشف نظيفة ويُلبس ثياباً نقيَّة ويوضع على فراش نظيف في غرفة هواؤُها نقي ويسقى كاساً من اللبن او المرق فتنتعش قواهُ ويحمد مولاهُ وينام ملء عينيهِ وينسى ما لقيهُ في بيتهِ

ولا بدَّ من ان تخبر الممرضة الطبيب بكل ما جرى للمريض في غيبتهِ او قبل حضورهِ فتخبرهُ عن الامور الآتية

النوم — يخبر كم ساعة نام المريض وهل كان نومهُ متواصلاً او متقطعاً

الطعام — وماذا اكل وماذا شرب ومقدار ما اكلهُ ومقدار ما شربهُ وهل اكل بقابليَّة او بغير قابليَّة

الامعاء — تلاحظ مبرزاتهُ ليُرى لونها وكم مرةً خرج واذا كان مصاباً بالامساك فمنذ كم يوم لم يخرج واذا كان مصاباً بالاسهال فكم مرةً خرج في اربع وعشرين ساعةً

الدواء — يلاحظ ما اذا كان المريض يعرق او ينام او يدوخ بعد اخذهِ الدواء

البول — يلاحظ لونهُ ومقدارهُ

والممرضة رقيبة على المريض من قبَل الطبيب وكثيرًا ما يتوقف علاجهُ على ما يسمعهُ منها. ويجب عليها ان تدقق في اعطاء الطعام والدواء للمريض ولكن لا يجوز لها ان توقظهُ لتطعمهُ او لتسقيهُ الدواء ما لم يأمر الطبيب بذلك صريحًا لان النوم انفع للمريض من الطعام والدواء

ولا بدَّ من اجراء اوامر الطبيب حرفيًّا فاذا كان اهل المريض لا يثقون بهِ فلهم ان يبدلوهُ بآخر ولكن ما دام هو القائم على معالجة المريض وجب التسليم التام لهُ

اذا جئت المريض بالطعام فجئهُ بكميات قليلة منهُ واذا امكن فضع الصحفة او الفنجان على طبق نظيف عليهِ فوطة بيضاء نظيفة . وكلما سقي الدواء في فنجان او ملعقة وجب غسل الفنجان او الملعقة جيدًا وكذلك يغسل الفنجان الذي يشرب منهُ اللبن او المرق . ولا يجوز هز سرير المريض ولا الجلوس عند رأسهِ بل امامهُ حتى لا يضطر ان يرفع رأسهُ كلما اراد ان يرى الجالس معهُ

وعلى الممرضة ان تمشي في غرفة المريض بالهدوء التام لابسةً خفًّا ناعمًا لا يسمع لهُ صوت

الفراش والغطاء

ان اعداد الفراش والغطاء والوسائد حتى تكون كلها مناسبة لحال المريض ليس بالامر السهل فاذا كان المريض مصابًا بالتيفويد مثلاً توضع لهُ وسادة واحدة ويغطى بملاءة واحدة واذا كان مصابًا بالاستسقاء يجب ان يغطَّى جيدًا وتوضع تحتهُ الوسائد الكثيرة وتوضع وسادة تحت ركبتيهِ . وفراش المصاب بالفالج يجب ان يكون لينًا جدًّا واما فراش من كسرت ساقهُ فيجب ان يكون غير لين وسيأتي الكلام على ذلك بالاسهاب . ولا بدَّ هنا من تنبيه القراء الى ان الغطاء الذي يدفئ لا يلزم ان يكون ثقيلاً وغطاء المريض بنوع خاص يلزم ان يكون خفيفًا ولو دعت الحال ان يكون مدفئًا ايضًا لان جسمهُ ضعيف لا يحتمل الغطاء الثقيل . والملاءة (الشرشف) والاحرمة تكفي لذلك

ولا بدَّ من ان يكون السرير بعيدًا من الحائط فان ذلك انفع للصحة واسهل على المريض والممرضة اذ يسهل عليها الوصول اليهِ من كل جهة . واذا كان المريض كبيرًا وسريرهُ ملاصقاً للحائط تعذَّر عليها تمريضهُ كما يجب

ويجب ان لا يكون في غرفة المريض كثير من الاثاث . واذا كان المرض معديًا وجب ان تنزع منها السجادات والستائر وكل ما يمكن الاستغناء عنهُ

العوارض البيتية

كان شابٌ جالساً على كرسي هزَّاز يقرأ ويهزُّ الكرسي والى جانبهِ مائدة عليها قنديل كبير من قناديل البترول . واشتدَّ هزُّهُ للكرسي فمال الى الوقوع بهِ فامسك بالمائدة من غير انتباهٍ فوقعت ووقع القنديل فانكسر وانصبَّ الزيت منهُ واشتعل وكانت ارض الدار التي هو فيها من الخشب وحولها غرف النوم وليس فيها الَّا ابنة عمرها نحو تسع سنوات وكان ابوها وامها واخوتها قد خرجوا من البيت للسهرة . وحاول الشاب اطفاء النار برجليهِ فسمعت الابنة صوتهُ ونهضت من سريرها وفتحت الباب ورأَت الزيت مبسوطاً في الدار ومشتعلاً فيها فاسرعت الى سجَّادة كبيرة القتها عليهِ فانطفأ حالاً ونجَّت البيت وما فيهِ من الاشتعال

هذا عارض من العوارض الكثيرة التي اذا قوبلت بالتعقُّل والوسائط المناسبة دُفع شرُّها والَّا فمنها ضرر لا يقدَّر . وقد يستطيع الولد الصغير ان يدفع شرًّا كبيرًا اذا عرف السبيل لدفعهِ فان تلك الابنة سمعتنا نقول ان القاء السجَّادة او البساط على النار يطفئها فبقي ذلك في ذهنها وانقذت بيتنا وادارتنا كلها من النار . وسنذكر في الفصول التالية الوسائل التي يمكن الالتجاء اليها للنجاة من هذه العوارض

﴿ النجاة من النار ﴾ اذا نهض الانسان من سريرهِ ورأى بيتهُ يحترق فليلبس ثيابهُ اولاً اذا استطاع ذلك والَّا فليلتف بحرام من الصوف او سجادة او بساط ويحاول الخروج من اقرب باب يمكن الخروج منهُ من البيت . ويجب ان لا يفتح ما لا داعي لفتحهِ من الابواب وان يقفل كل باب فتحهُ لان كثرة الابواب المفتوحة تسهل احتراق البيت فكلما فتح باب اندفع الدخان في جهتهِ واندفعت النار وراءهُ

ويبقى الهواء نقيًا قرب ارض الغرف فاذا خفت من الاختناق بالدخان فازحف على يديك ورجليك لكي تتنفَّس الهواء الذي عند الارض او اربط وجهك بمنديل من الحرير او قطعة من الفلانلا بعد ان تبلهما بالماء فيمتنع وصول الدخان الى فمك وانفك . ولا تحاول الهرب من الشباك

بالوثب منهُ ما لم يكن رجال المطافئ تحتهُ ومعهم شبكة يستلقونك بها . واذا لم تجد واسطة للنجاة ادخل غرفة نوم واقفل بابها وراءك جيدًا واربط الملاءات بعضها ببعض واربطها بشيءٍ ثقيل من الاثاث وتدلَّ بها من الشباك . والمروءة تقضي ان ينجي الانسان اولادهُ قبلما يهتم بنجاة نفسهِ

﴿ احتراق الثياب ﴾ قلما يمضي شهر الاَّ ونسمع عن امرأة او ابنة احترقت ثيابها فماتت . ويحدث ذلك للنساء والبنات اكثر ممَّا يحدث للرجال والصبيان لان ثيابهنَّ كثيرة تشتعل بسهولة . فاذا اشتعلت ثيات امرأة او ابنة فلتعلم ان اشتعالها يشتدُّ ما دامت واقفة فلتلقِ نفسها على الارض حالاً ولتتمرَّغ عليها تمرُّغاً كما تتمرَّغ الدابَّة واذا وجدت قربها بساطاً او سجَّادةً او حراماً من الصوف فلتلتف بهِ . واذا اشتعلت ثياب ولد فلا تدعهُ يركض لان الركض يزيد اشتعال ثيابهِ بل القهِ على الارض حالاً ولفهُ بما تجدهُ امامك من المواد الصوفية ثياباً كانت او احرمةً او بسطاً او سجادات والاَّ فبما تجدهُ من الثياب والملاءات بشرط ان تسكب عليها ماءً حتى تبتل . واهم ما يجب الانتباه لهُ ان الوقوف يزيد اشتعال النار ويوصل اللهب الى الراس فيزيد الخطر ولا بد لمن تشتعل النار في ثيابهِ من ان ينطرح على الارض حالاً

﴿ الاغماء ﴾ اذا اغمي على شخص فالقهِ على ظهرهِ في مكان مطلق الهواء وفك ثيابهُ وافرك يديهِ ورجليهِ وشممهُ روح الكافور او الامونيا

﴿ لسع النحل والزنابير والعقارب ﴾ انزع الحمة اذا امكن وصب على اللسع من روح الامونيا واذا لم توجد فضع عليهِ لبخة من زيت الزيتون او من العجين . واذا امكن مصُّ الجرح بالفم خفَّ الالتهاب والالم

آداب المائدة

اجلس على مائدة الطعام منتصباً لا تنحنِ عليها ولا تنحنِ الى الوراء

ابسط الفوطة على حضنك . وقد أُهملت الآن العادة القديمة وهي تعليق الفوطة بالعنق حتى تغطي الصدر ولم تعد تستعمل الاَّ للاطفال

شارك الذين توًّا كلهم في الحديث ولا تبدِ اقلَّ ضجر اذا لم يُقدَّم لك الطعام قبل غيرك

خُذْ من كل الالوان التي تقدَّم لك ولو لم تأكل منها الاَّ قليلاً اذ ليس من الظرف ان يأكل غيرك وان تتفرج عليهِ

كُلْ متمهلاً من غير صوت اذا امكن ولا تملأ فمك ولا تفتح شفتيك

لا تتناول الطعام بالسكين بل بالملعقة والشوكة لا غير ولا تنحنِ على الصحفة حينما تأكل

اشرب الشوربا من جانب الملعقة لا من رأسها

السرور يساعد على الهضم فلا تتعرَّض لموضوع يكدر احدًا وانت تأكل معهُ

لا تضع على غطاء المائدة شيئًا من فضلات الطعام كالعظام و بزر الزيتون وقشور الفاكهة بل ضعها على جانب صحفتك او في صحفة خاصَّة بها

اكسر الخبز كسرًا بيدك ولا تقصهُ بالسكين

لا تضع اصابعك في فمك ولا تتخلَّل وانت تأكل

لا تقم عن المائدة والطعام في فمك او في يدك

لا تأكل فوق الشبع واذا اعتدتَ ذلك سمنتَ وساءَت صحتك او قلَّتْ راحتك

لا تنتهر الخدَم الذين يخدمونك على المائدة ولكن ليس من اللياقة ان تشكرهم على شيء لان خدمتك واجبة عليهم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

قراءَة الصحف

قد اولعت بقراءَة الصحف والمجلات وحصلت لي بذلك لذة زادتني رغبة وولوعًا حتى اذا مرَّ عليَّ اسبوع ولم اطالع بعض ما ظهر فيهِ من اعداد الصحف الاسبوعية شعرت بالاستيحاش ومسَّت قلبي حرارة الشوق الى المطالعة واذا انقضى شهر ولم اطالع ما الفتُ مطالعتهُ من المجلات العلمية انقبض قلبي واصابني ما يصيب المدخّن اذا اعوزهُ الدخان. ولقد رأيت هذه المطالعة من افيد المطالعات لمن يدخل في الاعمال ويخالط الانام ويجالسهم اذ تقفهُ على احوال البلاد وتريهِ ما بين الدول من الوفاق او الشقاق واذا اعرض عن مطالعتها رأى نفسهُ عند مجالسة الاصحاب غريبًا عن الدنيا ليس عندهُ شيءٌ من اخبارها ومنحطًّا معرفة عن طبقة من يحسنون مطالعتها

كيفية مطالعة الصحف

ان من اراد ان يستفيد من مطالعة الصحف ولا يلحقهُ اذى من بعض منشوراتها فلا بدَّ لهُ من اربعة امور الاوَّل ان يقرأَ كل ما كتب فيها لا يدع مطلباً من مطالبها ولا خبرًا من اخبارها ولو من اخبار قدوم رجل من العوام او سفرهِ ممن لا يتوقف على معرفة قدومهِ او سفرهِ امر من الامور جريًا على القول المشهور "العلم بالشيء ولا الجهل بهِ" وهذا الامر قلَّ من يوفيهِ حقهُ ممن نراهم يطالعون الجرائد بل كثيرًا ما ترى الشخص يأخذ الجريدة فاذا لم يجد فيها خبرًا يلذ لهُ القاها من يدهِ او نبذها نبذ شيءٍ يعلوهُ قذرٌ حالة كونهِ لا شاغل يشغلهُ عن استتمام القراءة بل قد يعرض عنها الى ما يتلَّهى بهِ من ضروب اللعب ويستقرئ الحوادث واسبابها وسيرها ونهاياتها

الثاني ان يتتبع المطالب عددًا فعددًا حتى يكون عارفاً في كل مسئلة كمن يسير من منبع النهر الى منصبهِ بحيث لو اراد ان يكتب تاريخ حادثة جرت او مسئلة وقعت لصوَّر لك دواعي وجودها واراك طرق سيرها وبيَّن لك المصاير وعِلَلها . وقد عرفت بعض من يلتزمون ذلك ويراعونهُ وكانت احاديثهم في أُذني الذّ من الصهباء في ذوق الاخطل

الثالث ان يستدعي انتباههُ ويستنجد عقلهُ حتى لا يذهب عليهِ شيءٌ مما لا صحة لهُ وكي لا يستحسن ما لا وجه لاستحسانهِ فان اكثر اصحاب الجرائد العربية انما يأْثرون ما عدا الاخبار المحلية عن جرائد اوربا وهذه قد تذكر امورًا يحسن هناك ذكرها ويفيد ويقبح نشرها هنا ويضرّ وما يتصدى لها اصحاب صحفنا ارادة الاذى لكنَّ كثرة الشواغل وتراكم المهامّ عليهم قد يغفلانهم عن رعاية ما تقتضيهِ حال المطالعين وحالة البلاد التي تجوبها جرائدهم . ومن احبّ الالتفات الى ما اقول فلينظر جرائد كل مملكة كيف تخبر عن جيوشها في الحرب يرَها تكتم اخبار الانكسار او تفرغها في اضيق قوالب الايجاز ويرَها تبادر الى نشر اخبار الانتصار على غاية ما تصل اليهِ الاقلام من الاطناب فعند الانكسار تكاد المحابر تجفّ وعند الانتصار تمد المحابر اليراع كأنها برك تدفق بالمداد وهل يلامون على ذلك كلاَّ بل انما هو تلقين الحكمة وارشاد الفطنة وهو السنَّة المتَّبعة عند البشر مذ كانوا

الرابع ان يعذر الجرائد اذا نوَّهت ببعض الناس تنويهاً عالياً وغالت في مدحهم. واني لكثرة ما قرأت وسمعت من الانتقاد من هذه الجهة اعملت الفكر في ذلك فتبين لي وجه للعذر وجيه وهو ان هذه الجرائد انما تحيا بمال المشتركين وهؤُلاء شأنهم في ان يكونوا معروفين بالصفات العالية والمناقب الشريفة شأن سائر البشر فهم يؤَاخذون اصحاب الجرائد التي يشتركون

فيها ان عرض ذكرهم ولم يتبعوا اسماءهم بالنعوت النبيهة وربما ادى ذلك الى مصارمة الجريدة وقطع رزقها . ولو نزّل المنتقد نفسهُ منزلة من يخسر مالهُ وعناءهُ ان لم يراعِ خواطر القراء لعدل عن الانتقاد على ان اصحاب الجرائد الذين يؤاخذون في ذلك لا يصفون المرء بصفة لا اثر لها فيهِ وغاية ما هنالك انهم يكبرون تلك الصفة وهذه سنة الناس في المدح وانهم يشمئزون من بعض ما يكتبون من هذا القبيل فوق ما يشمئز غيرهم منهُ ولكن الضرورات تبيح المحظورات

ممَّا يضرُّ نشرهُ

مما يضر نشرهُ اندفاع الجرائد بالطعن على ذي منصب غير مستوجب الطعن واطراؤُها من هو جدير بان يُتظلَّم منهُ لمخالفتهِ ما يوجب عليهِ منصبهُ فان كانت ذات غيرة على مصلحة العباد ومحبةٍ لعمران البلاد فسبيلها ان تنتقد اعمال من يشذّ عن مقتضيات منصبهِ وتذكر ذلك بعبارة خالية مما يحقّرهُ ويشوّهُ اسمهُ والاَّ عرَّضت نفسها للاستخفاف والامتهان لا اقول ذلك كَمَنْ لا يعتقد ان الجرائد تقدر ان تخدم الآداب والشعوب افضل خدمة وتستطيع ان تكون اقرب وسيلة لجرّ المنافع ودفع المضارّ ولا سيما اذا كانت حرَّةً يديرها الحكماء ويدوّنها الفضلاء . ومن تتبع مطالعة الصحف يرَ ان بعض الجرائد والمجلاَّت قد صارت ذات مكانة في النفوس وأحرزت اقوالها التكريم عند الخواصّ والعوامّ وذلك لترفّعها عن مجاراة الاهواء والتزامها الانقياد للبرهان وتعمد المنفعة العامة والمحافظة على كرامة الصيت فعلى الجريدة اذا رأت ان من وراء الانتقاد على بعض الاعمال فائدة ان تفعل ولكن على وجه يليق بقدرها وقدر الحق الذي تودّ المحافظة عليهِ واما الذمّ الأليم والطعن الموجع فأَحرِ بها أن تتكارم عنهما وتقيم نفسها مقام المهذب او مقام الجرَّاح المداوي فليس تونيب المهذّب كذم العدوّ ولا مدية الجرَّاح كسيف القاتل فهما وان جمعهما الايلام يفرقهما الباعث فتونيب المهذب يبعثهُ صفاء الود وجرح الجرَّاح يدعو اليهِ طلب الشفاء واما ذمُّ الذامِّ وجرح العدو فلا باعث لهما الاَّ الضغينة

بيروت عفيفة سعيد الشرتوني

منزلة الشعر من التاريخ

حضرة منشئي المقتطف المحترمين

اراكم تنوهون بالفصول التي جمعها حَضرة الكاتب المجتهد المجيد امين افندي ظاهر خيرالله فتنشرونها على ما فيها من التطويل كأنها من المكتشفات العصرية والمبتدعات المفيدة . ولا

انكر على حضرة جامعها اجتهادهُ المفرط وانهُ تصفح مئات من الدواوين حتى جمعها ولكن يُرى لدى امعان النظر انهُ لم يكد يعثر على شيءٍ لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي نظموا فيهِ الاشعار التي استشهد بها

ولديَّ الآن الجزء الاول من اجزاء هذه السنة من سني المقتطف وفيهِ كلام على ان العرب استعملوا الدنانير في زمن عنترة العبسي وربيعة بن المكدَّم والاعشى ونحوهم من الشعراء الذين كانوا في آخر زمن الجاهلية او قُبَيْل ظهور الاسلام اي في القرن السادس والسابع بعد الميلاد . ومعلوم ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد الاسكندر وكان اهالي سورية ومصر وفارس المتخامون للعرب يستعملون النقود قبل الاسلام بمئات من السنين وكان العرب يخالطونهم تجارًا او اصحاب قوافل لنقل البضائع التجارية من عهد يعقوب ابي الاسباط فلا يعقل الَّا انهم كانوا يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتخامة لهم والَّا فليسوا بشرًا . واثباتنا انهم كانوا يستعملون النقود المستعملة عند الامم المتاخمة لهم كاثباتنا انهم كانوا يطبخون الطعام ويلبسون الثياب . نعم لو اثبت حضرة جامع هذه الفصول ان العرب الجاهلية كانوا يصكون النقود لكان في ذلك دليل على عمرانهم اما اثبات تعاملهم بالنقود فغاية ما فيهِ ان العرب كانوا يدخلون البلاد المجاورة لهم تجارًا او كانوا يؤجرون جمالهم لتجار البلاد المجاورة او كان تجار البلاد المجاورة يدخلون بلادهم للاتجار وليس في شيءٍ من ذلك دليل على العمران الباذخ

اما استعمال الوزن للنقود وللفضة والذهب فان قام دليلاً فهو دليل على ضعف العمران لان العمران يكثر النقود الصحيحة ويغني الناس عن استعمال الميزان لها او للفضة والذهب

وقد اوردتم في المجلد الرابع من المقتطف الذي صدر منذ ثلاث وعشرين سنة فصلاً طويلاً في تاريخ النقود قلتم فيهِ " ان اول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس وقد ضربها اقتداءً بداريوس " . وكان ذلك قبل زمن الشعراء الذين ذكرهم امين افندي باكثر من الف سنة . وقلتم ايضًا ان اليهود ضربوا النقود اما في زمن عزرا او في زمن سمعان المكابي ومعلوم ان نقود الاسكندر المكدوني الباقية الى الآن والتي وجد منها مبالغ وافرة في صيداء منذ ثلاثين او اربعين سنة كانت اجمل من النقود التي تصك الآن في اوربا واميركا فقولنا ان العرب كانوا يستعملون النقود بعد الاسكندر باكثر من ثمانمئة سنة لا يعود بكبير فخر عليهم

ولقد احسن في ما جمعهُ من الابيات التي توصف بها ملابس العرب رجالاً ونساءً ولكن

كل ما ذكرهُ من هذا القبيل لا يدلُّ على ان العرب كانوا في عصر الجاهلية ارقى عمرانًا من الاحباش او من اهالي السودان اليوم ولا ان عمرانهم كان يقابل بعمران مصر واشور وفينيقية قبل العهد الذي اشار اليهِ باكثر من الفي سنة فان المنسوجات المصرية التي توجد الآن لفائف للمومياء القديمة قد نسج بعضها منذ اكثر من خمسة آلاف سنة او قبل العهد الذي ذكرهُ بنحو اربعة آلاف سنة. والمنسوجات التي ذكرت في اسفار موسى لتغطية خيمة الشهادة نسجت قبل العصر الذي ذكرهُ باكثر من الفي سنة . وكان ملوك الامم يلبسون تيجان الذهب من قبل ايام سليمان وداود بل من قبل ايام ابرهيم الخليل من ايام ملوك اشور و بابل وملوك مصر الاولين فاذا لبسها ملوك العرب بعد المسيح بقرون فليس كثيرة لذلك شأن يذكر

هذا ويعلم الله ان ليس من قصدي الحط من قيمة ما جمعهُ صاحب هذه الفصول ولا بخسهُ حقهُ من الشكر على اجتهادهِ فانهُ والحق يقال حريٌّ بكل مدح لانهُ بيَّن لنا ان شعراء العرب كانوا يصفون احوال زمانهم ولا يكتفون بوصف الازمنة الغابرة كما كثر شعراء عصرنا ولكن الاستدلال على عمران العرب بابيات يقال فيها انهم كانوا يأكلون ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيءٌ من التنويه بقدرهم وغاية ما فيهِ ان البدو ليسوا في هذا العصر بارقى من اسلافهم الذين كانوا منذ نحو الف واربع مئة سنة . وهو استنتاج موجب للخجل لانهُ ان كان سكان بلاد العرب لم يرتقوا عمَّا كان عليهِ اسلافهم منذ الف واربع مئة سنة ولم يرتقِ من العرب الَّا الذين استوطنوا البلدان الاخرى كمصر وسورية وفارس التي كان عمرانها رائعًا قبل عهدهم فهناك مجال للظن او للترجيح ان الارتقاء الذي اتصفوا بهِ مقتبس من غيرهم لا ناشيءٌ منهم وهو بالنسبة اليهم ثوب عارية

بيروت باحث مستفيد

مؤتمر المستشرقين

حضرة منشئي المقتطف الاغر

طالعت ما كتبهُ حضرة الفاضل صالح بك حمدي حماد عن اجتماع مؤتمر المستشرقين في هذا القطر . ولعمر الحق انهُ اقتراح حلَّ محلهُ لان هذا القطر اصبح في مقدمة البلدان العربيَّة ولا يجد العلماء في غيرهِ ترحيبًا . لكن عهدنا ان هذه المؤتمرات تلتئم بدعوة من حكومات البلدان التي تلتئم فيها ينقلها اليهم المندوبون الذين ينوبون عنها فكان الواجب على الحكومة المصريَّة ان تظهر رغبتها في ذلك وان هذه الرغبة يعرب عنها النوَّاب الذين ترسلهم

الحكومة المصريَّة الى مؤتمرات المستشرقين . الاَّ اننا قد الفنا في هذا القطر ان لا نعمل عملاً نحن ولا حكومتنا ما لم يدفعنا اليهِ رجل اجنبي . والمؤتمر الطبي لم يكن ليجتمع في بلادنا لو لم يقم الاطباء الاجانب و يطلبوا اجتماعهُ . ولو كان من الاجانب نزلاء هذا القطر رجل وجيه لهُ اهتمام شديد باللغة العربيَّة او باللغات الشرقيَّة وحث الحكومة المصريَّة على دعوة المستشرقين رأيناها تلبي طلبهُ حالاً . اما وقد جاءنا مؤتمر الاطباء باربعين الف جنيه التي وهبها السر ارنست كاسل على اثر ما سمعهُ في ذلك المؤتمر فلا يبعد ان تقوي العزيمة على عقد مؤتمر للمستشرقين عسى ان يأتينا بكريم آخر يهبنا مبلغاً طائلاً من المال نطبع بهِ ما يجب نشرهُ من الكتب العربيَّة القديمة على اسلوب يسهِّل مراجعتها كما تطبع في مطابع اوربا . وعسى ان تتناول الجرائد اليومية هذا الموضوع وتكثر من الكتابة فيهِ الى ان ننال الغرض المطلوب

محمد حمدي

باب الزراعة

المعرض الزراعي

فتح دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الزراعية الخديويَّة المعرض الزراعي في ١١ فبراير بحضور جمهور غفير من امراء العائلة الخديويَّة وصاحبي الدولة الغازي مختار باشا ورياض باشا وحضرات النظار واكابر موظفي الحكومة ووكلاء الدول وحضرات المحافظين والمديرين واعيان الوطنيين والاجانب واكابر المزارعين في القطر كلهِ . وقد سرُّوا جميعهم بما رأوا من اتساع هذا المعرض وانتظامهِ ولاسيما انتظام عرض المواشي في الحظائر الجديدة التي بنيت لها من الحديد والآجر فان الناظر يراها في لمحة و يستسهل مقابلتها بعضها ببعض احسن مقابلة . وقد زاد كل عارض اعتاد العرض في الاعوام السالفة اتساع دائرة معروضاتهِ وعدد انواعها . وزاد عدد العارضين في اصناف وقل في اخرى

وقد عرض في سراي المعرض ما اعتيد عرضهُ من الحاصلات الزراعية المختلفة من قطن وحبوب وقصب وغيرها والطيور الداجنة كالدجاج والحمام والبط وما اشبه

ومما استوقف الابصار خصوصاً بين هذه المعروضات القطن السوداني وقطن المستعمرة الايطالية على البحر الاحمر اما القطن السوداني فمن معروضات حكومة السودان وهو اربعة

اصناف العفيفي والعباسي واليانوفتشي والاميركاني وقد جرَّبت الحكومة السودانية زرع هذه الاصناف في مديريَّة الخرطوم وهي وان تكن ادنى من اصناف الاقطان التي تزرع في القطر المصري فقد ثبت منها ان السودان تصلح لزرع القطن . واما قطن المستعمرة الايطالية فقد ظهر لنا ان شعرتهُ اطول من شعرة القطن السوداني ونوعهُ اجود

وقد عرضت الخاصَّة الخديوية كثيرًا من مواشيها وحاصلاتها وهي مثل معروضات الحكومة السودانيَّة خارجة عن دائرة الجائزة ولكننا علمنا ان الجمعيَّة الزراعيَّة ستضع مدالية ذهبية خاصة بمعروضات الحضرة الخديويَّة

وقد عرض معظم الآلات البخارية والزراعيَّة غربي سراي المعرض هذه السنة وعرض معظم المعروضات الصناعية شرقيها

واول معروضات الآلات معروضات المسيو ماروني ومعروضاتهُ من صنع ايطاليا وهناك آلة لحلج القطن عرضها حضرة حنا بك باخوم وهي من صنع الانكليز ومن طرز جديد وتتلوها معروضات حضرة الخواجه انطون قلاده وهي تشبه معروضاتهِ في السنة الماضية . وبعدها معروضات محل الخواجات الن والدرسن وهي كثيرة الاشكال عديدة الانواع على جاري العادة ولكن بينها طرزًا جديدًا من رستن بروكتور الشائعة في هذا القطر وهي تمتاز علي كل ما تقدمها من نوعها بشدة اقتصادها في الفحم

ويتلو هذه المعروضات معروضات المستر كنجسفورد وهي درابزونات مختلفة الاشكال والانواع وبيوت وعنابر حديديَّة وامثلة آلات بخاريَّة تسير بها السفن في الماء وغير ذلك

وبعد هذه معروضات محل اورنستين وكوبل — ووراءها بقليل معروضات ارثر كوبل وكلا المحلين مشهور بسككهِ الحديديَّة الزراعية ولا تختلف معروضاتهُ هذه السنة عما كانت عليهِ في السنة السابقة

وبينهما معروضات محل كوك من عدد وطلمبات وآلات زراعية . ومعرضات محل ستيمان ومباردي وهي مثل معروضات الاعوام السالفة ولكن بينها عدة من طرز جديد قيل لنا ان قوتها ١٦ حصانًا ولا يوقد فيها من الفحم غير قنطار في الساعة . وتدار باحراق الشرارة الكهربائيَّة للغاز الذي يتكوَّن في العدة

وتتلوها معروضات حضرة حسبو بك محمد وبينها الآلات الزراعية التي يصنعها اهل هذا القطر . ومقابل هذه المعروضات معروضات عدد سنجر للخياطة والتطريز وكل اشغال الابرة وقد عرض هذا العام عدة عدد جديدة للتطريز والخياطة منها عدة لطيفة تدار بالكهربائية

والى شمال السراي معروضات الزبدة الالمانية التي يديرها حضرة فؤاد افندي في سراي الجزيرة . ومعروضات بيرا الاهرام وكان الناس يتقاطرون اليها لشرب بيراها . ومعروضات السباخ الكفري والى شرق السراي زحافة عظيمة اخترعتها شركة البحيرة وهي تدار بالبخار ومعروضات الفصفات ويرى الانسان هناك حجارة الفصفات ومسحوقها وتتلوها معروضات شركة السمنت حيث يفهم الانسان كيف يصنع السمنت المصري في لحظة من الزمان . وبعد هذه معروضات الصابون الكاربوليكي والعلاج المهلك للحشرات عن الغنم والمواشي ثم معروضات شركة الملح والصودا وهي ابدع معروضات هذا العام يجد فيها الانسان ما يشاء معرفتهُ عن ملح الطعام وكيفية عمل الصابون الذي تصنعهُ هذه الشركة ومحلاً لطيفاً مصنوعاً كلهُ من الكسب. وبعد هذه معروضات شركة تكرير السكر وهي تشبه معروضاتها في السنة الماضية ويجد الانسان غير ذلك معروضات شركة السباخ ومعروضات مصلحة السجون من سروج ونحوها . ومعروضات محمد عمر الحصري المشهور في الزقازيق وقد اعجب الناس بحسن منظرها واتقان صنعها كما اعجبوا بابداع المصنوعات الدمشقية من الخزائن والموائد وغيرها الموصوفة بدقة صنعها ومحكم تنزيلها وعجيب فسيفسائها

وقد اثنى الناس عموماً على ما بذل جناب المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية من الهمة والعناية في تنظيم هذا المعرض كما اثنوا على جناب المستر كاري الذي لهُ اليد الطولى في انجاح هذه المعارض النافعة برئاسة دولة البرنس حسين باشا كامل وحسن رغبة القائمين بامر الجمعية الزراعية

موسم القطن هذا العام

بلغ الوارد من القطن المصري الى الاسكندرية حتى ٢٧ فبراير ٥٤٤٢٠٨٦ قنطاراً يقابلها في العام الماضي ٥٩١٤٦٠٣ قناطير فالنقص في الوارد هذا العام نحو نصف مليون قنطار والمظنون ان الموسم كلهُ ينقص كذلك عن موسم العام الماضي لكن الاسعار الحاضرة جبرت نقص الموسم. وهذا النقص ليس السبب الوحيد لارتفاع الاسعار الآ انهُ ساعد كثيراً على ارتفاعها حتى لو بقي الموسم ستة ملايين قنطار فقط لبقي سعرهُ ثلاثة جنيهات اوحواليها ولو بلغ الموسم الاميركي اثني عشر مليون بالة . واذا ثبت ذلك بالبحث المدقق فمن مصلحة هذا القطر ان تسعى حكومتهُ ومجلس شوراهُ لوضع قانون يحصر زرع القطن في ثلث الاطيان التي تروى الآن ريًا صيفيًا فان هذا الحصر يعود حينئذٍ بالفائدة الكبيرة على المزارعين

انفسهم لانهُ يغلي ثمن القطن ثم ان الاطيان التي لا تزرع قطناً بهذا الحصر تزرع زراعة أُخرى فتكون فائدتهُ مزدوجة

مستقبل ثمن الاطيان

لم نرَ اقبالاً مثل اقبال الناس الآن على مشترى اطيان الدائرة السنيَّة مهما غالت بها حتى ارتفعت اسهم الشركة التي تبيعها من خمسة جنيهات الى اكثر من خمسة عشر جنيهاً بعد ان بقيت مدة طويلة تتراوح بين سبعة جنيهات وثمانية. ولم تزد هذه الزيادة الاَّ لان الاسعار التي بيعت بها اطيان الدائرة فيها ربح كبير للشركة يعادل هذه الزيادة

لكن المشترين لم يُغبَنوا اذا اعتُبرَ امرٌ لا يلتفت اليهِ الاَّ قليلون وهو ان ثلثي الثمن او ثلاثة ارباعهِ تقسَّط على خمس عشرة سنة بفائدة خمسة في المئة ومعلوم ان الذهب سيكثر كثيراً بين ايدي الناس في السنوات التالية حتى ان الارض التي تساوي الان مئة جنيه تصير تساوي مئة وخمسين جنيهاً اذا كثر الذهب ورخص بالنسبة الى ما يُشترى بهِ ولذلك فالذي يشتري الآن شيئاً بمئة جنيه ويدفع ثمنهُ بعد عشر سنوات حينما تصير المئة الجنيه بمقام ستين جنيهاً الآن يكون كأنهُ دفع ثمنهُ ستين جنيهاً لا مئة جنيه

ومن المحتمل ان تهبط اسعار الحاصلات كثيراً فتهبط اسعار الاطيان ايضاً او يضطر كثيرون من الذين استدانوا واشتروا طيناً ان يبيعوا الطين الذي اشتروهُ لانهم يعجزون عن ايفاء الدين لكن الاحتمال الاول بعيد فلا يؤْخذ بهِ والاحتمال الثاني لا يهبط بهِ سعر الاطيان زمناً طويلاً لو صحَّ لانها تأُول اخيراً الى اناس من اهل الثروة يكتفون بالربح القليل منها فيعود سعرها الى الارتفاع

وهناك احتمال ثالث وهو ان ينتشر اتقان الزراعة في القطر فيزيد غلَّة الفدان ثلاثين او اربعين في المئة يسدُّ بها ما يمكن ان يحصل من النقص في اسعار الحاصلات

الجمعية الزراعية

اجتمعت الجمعية الزراعية في ١٢ فبراير برئاسة دولتلو البرنس حسين باشا كامل وقررت ان تتوسع في توزيع بزرة القطن على صغار المزارعين وان توزع اربعة عشر الف اردب منها هذا العام على تسعة آلاف مزارع وكانت لا توزع قبلاً سوى خمسة آلاف اردب . وقررت ايضاً ان ترجع الى اقامة المعارض الزراعية وان تشرع في اقامة معارض صغيرة لصغار الفلاحين

في جميع المديريات . وقررت ايضاً ان تخاطب الحكومة في منع ذبح العجول الصغيرة وان توضع ثيران قوية في المراكز لتحسين نتاج البقر وان تسعى في تقصير مدة المناوبات الى زمن التحاريق. وكل ما اقرَّت عليهِ غاية في الاجادة الاَّ ذبح العجول كما سيجيء

ذبح العجول

لا ندري كيف يطمع اعضاء الجمعية الزراعية في ان يجعلوا الحكومة تمنع الاهالي من ذبح العجول . وهَبْ ان الحكومة سنَّت قانوناً لذلك فمن يكفل ان الاجانب يخضعون لهُ . ثم ان الاهالي الذين يذبحون العجول يظنون ان ذبحها اربح لهم من تربيتها ولولا ذلك ما اقدموا على بيعها للذبح فلا يكون من العدل ان تمنعهم الحكومة عما يظنون ان لهم منهُ نفعاً خاصاً ولو كان من هذا المنع نفع عام للبلاد . وهم يقولون كما قال لنا كثيرون منهم انهم يبيعون العجل الذي عمرهُ من اربعين يوماً الى ستين بجنيهين الى ثلاثة ويكسبون زيادة اللبن الذي كان يرضعهُ لو بقي عندهم . واذا صار عمرهُ سنة وارادوا بيعهُ لم يبع باكثر من جنيهين الى ثلاثة وقد لا يبلغ ثمنهُ الاَّ جنيهين ونصفاً على الاكثر فيكون الاربح لهم بيعهُ وعمرهُ اربعون يوماً الى ستين. وكذلك اذا صار عمرهُ سنتين لا يباع باكثر من ستة جنيهات مع انهم يكونون قد انفقوا على علفهِ نحو اربعة جنيهات نعم انهُ اذا صار عمرهُ خمس سنوات يصير يساوي اربعة عشر جنيهاً او اكثر ولكنَّ الفلاَّح لا يستطيع ان يربي ما يزيد على حاجتهِ من المواشي وينفق عليها على امل ان يبيعها بعد ذلك بثمن غالٍ لا سيما وانهُ يضطر كل سنة ان يستدين الجنيه بجنيه وربع لكي يدفع بعض اقساط المال. فاذا كان لا بدَّ من تربية المواشي في هذا القطر فهي تجارة رابحة اذا اقتصرت على تربية العجول فقط فيرخص ثمنها قليلاً ولا يعود الفلاَّح يرغب في بيعها كما يرغب الآن . اما تربيتها حتى تكبر فلا يكون منهُ ربح في هذا القطر الاَّ حيث يمكن تشغيلها لغلاء العلف فيهِ حتى يكون من تشغيلها ربح يقابل نفقة علفها

لكن ما لا يتيسَّر في هذا القطر يتيسَّر في الاقطار السودانية لكثرة المراعي فيها فاذا تسهَّلت وسائل النقل من السودان ورخصت فلا يبعد ان يأْتينا منهُ اللحم والمواشي بعد سنين قليلة

وقد اشار البعض بابتياع المراعي الواسعة في جنوبي سورية حيث تكثر المياه وتربية المواشي فيها وجلبها الى القطر المصري وهو رأْي حسن ولكن العمل بهِ صعب ما دام الامن غير مستتب في تلك الجهات . ومن المحتمل ان يكثر استعمال الآلات البخارية في الزراعات الواسعة فتقل حاجة القطر الى المواشي

باب الصناعة

تذهيب الزجاج

طريقة اولى . نظف الزجاج جيدًا واذب غراء السمك في الماء حتى يكون المذوب خفيفاً جدًّا وسخنهُ قليلاً وادهن بهِ الزجاج حيث تريد ان يلصق الذهب بهِ ثم ارفع ورقة من ورق الذهب بقلم المذهّب وضعها فوق الغراء ودعهُ حتى يجف واذا لم يظهر الذهب جيدًا ضع ورقة اخرى فوق الورقة الاولى

طريقة ثانية. اذب كلوريد الذهب ورسّبهُ بالبوتاسا او الزاج الاخضر فيرسب مسحوقاً بنيًّا ناعمًا فاغسلهُ وجففهُ وامزجهُ بالبورق بعد شيهِ حتى يطير الماء منهُ واضف الى المزيج روح التربنتينا او ماء الصمغ العربي وضعهُ على الزجاج بفرشاة واشوهِ في فرن خاص بذلك فيطير روح التربنتينا ويحترق الصمغ . والبورق يذيب الذهب ويلصقهُ بالزجاج الذي تحتهُ

طريقة ثالثة . ضع قليلاً من غراء السمك في الماء على نارٍ خفيفة قدر ساعة من الزمان حتى يذوب ثم ارفعهُ عن النار واضف اليهِ قليلاً من الروم واتركهُ حتى يبرد . ونظف لوح الزجاج وصب عليهِ من هذا السائل ثم الصق بهِ ورق الذهب واوقفهُ على حرفهِ حتى ينضح عنهُ ما زاد من السائل وحينما يجف امسحهُ بقطنة . ثم ارسم الكتابة التي تريدها على ورقة وخرّمها بدبوس وضع الورقة فوق الذهب ورش عليها غبار الطباشير الناعم فيدخل من الخروم ويلصق بالذهب ويرسم عليهِ صورة الكتابة فان شئت ان تكون ذهبيةً وما حولها اسود فانزع الذهب عن غير الكتابة وادهن قفاها بدهان اصفر وما حولهُ بدهان اسود . وان شئتَ ان تكون الكتابة سوداء وما حولها ذهبيًّا فانزع الذهب من محل الكتابة وادهن قفا اللوح بدهان اصفر على ظهر الذهب وبدهان اسود فوق محل الكتابة

الطريقة الرابعة . اذب كلوريد الذهب النقي في الماء ورشّح المذوب حتى يكون في كل اوقتين من الماء قمحة من الذهب واضف الى المذوب قليلاً من الصودا حتى يصير قلويًّا ثم نظف لوح الزجاج الذي تريد تذهيبهُ وصب عليهِ من مذوب الذهب بعد ان تضيف اليهِ قليلاً من الالكحول المشبع بغاز الضوء فيرسب الذهبَ من السائل على اللوح ويلصق بهِ في نحو ثلاث ساعات

تذهيب الحديد

اصنع ملغمًا من الزيبق والصودا وافرك بهِ سطح الحديد ثم اكتب عليهِ او ادهنهُ بمذوب كلوريد الذهب الثقيل واحمهِ قليلاً فيطير الزيبق ويبقى الذهب لاصقًا بالحديد

تذهيب العاج

ضع العاج في مذوب كبريتات الحديد (الزاج الاخضر) ثم في مذوب نيترو مريات الذهب فتلصق بهِ قشرة ذهبيَّة جميلة

تذهيب الصلب (الفولاذ)

اذب قليلاً من الذهب في ماء الذهب وبخّر المذوب حتى يجف اي حتى تزول منهُ زيادة الحامض ثم اذبهُ في الماء واضف اليهِ ثلاثة اضعاف جرمهِ من الايثر الكبريتيك واتركهُ اربعًا وعشرين ساعة في زجاجة مسدودة سدًّا محكمًا فيطفو مذوب الذهب الايثري على سطح السائل واذا غطس فيهِ الصلب الصقيل اكتسى قشرة ذهبيَّة حالاً ويمكن ان ترسم عليهِ رسوم بمادة غروية فيلصق الذهب بما بقي مكشوفًا من سطحهِ

حفظ الازهار

ان المشتغلين بجمع النباتات للمنابت لم يكونوا يعرفون طريقة لحفظ الازهار غير كبسها بين صفيحتين من الورق فيتغير شكلها ويزول لونها او يتغيَّر. وقد انتبه بعضهم الآن الى الطريقة التي استعملتها الطبيعة وقت خراب بمباي وهركولانيوم وهي طمر النبات بالرمل الناعم جدًا فانهُ يجف وهو مطمور كذلك ويبقى على شكلهِ ولونهِ. وكيفيَّة ذلك ان يوضع الرمل الناعم في اناء لهُ ثقوب دقيقة كالاناء الذي يرش منهُ البهار على الطعام ويوضع النبات في صندوق ويذرُّ عليهِ من هذا الرمل الناعم رويدًا رويدًا حتى يغطيهُ كلهُ ويعلو عليهِ نحو شبر ويترك كذلك من ستة ايام الى ثمانية حتى يجف جيدًا ثم ينزع الرمل عنهُ بلطف فيوجد تحتهُ جافًا بشكلهِ ولونهِ الطبيعيين. ويحسن ان يدهن حينئذٍ بڤرنيش خفيف مصنوع من اللك المذاب في مذوب كربونات الصودا او الامونيا يغطس النبات فيهِ بعد تجفيفهِ وينفض فيكتسي قشرة لامعة من الفرنيش

العاج الصناعي من البطاطس

لما خيف من نفاد العاج صُنع السلولوس فقام مقامهُ في كل ما يستعمل لهُ. والآن صنعت مادة تقوم مقام السلولوس وتفضلهُ في كونها تقبل النشر والخرط والثقب وتستعمل في كل ما يستعمل لهُ العاج او العظم. وهي تصنع بمعالجة دقيق البطاطس او فضلات دقيقهِ بمذوب فيهِ حامض وغليسرين فيكون من ذلك مادة غروية تجف حالاً ثم تطحن وتمزج بالماء وتفرغ في قوالب كما يمزج الجبس بالماء ويفرغ في القوالب

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تاريخ الصحافة

بيتنكرياس بالبرازيل. الخواجه نقولا عبسي. نرجو ان تذكروا لنا شيئاً من تاريخ الصحافة وفي اي وقت كان ظهورها

ج أُنشئت الجرائد اليومية في عهد الرومانيين وكانت تكتب فيها اخبار الجيش وترسل الى قوَّادهِ وتكتب اوامر القوَّاد وترسل الى الضباط الذين تحت امرهم. اما الجرائد العمومية فانشئت اولاً في المانيا في القرن الخامس عشر. وكانت اوراقاً صغيرة تكتب فيها الاخبار العمومية وتنشر. وسنة ١٥٦٦ انشئت اول جريدة في البندقية بامر حكومتها مستوفية شروط الجرائد المعروفة اليوم وكانت تنسخ نسخاً وتعلَّق في الاماكن العمومية ويباح لكل احد ان يقرأها اذا دفع قطعة صغيرة من النقود اسمها غازطة ومن ثمَّ سميت تلك الجريدة غازطة وأُطلق هذا الاسم على الجرائد. ثم كثر نشر الجرائد وصارت تطبع طبعاً وتنشر في الاقطار. ونشرت اول جريدة في بلجكا سنة ١٦٠٥ وفي المانيا سنة ١٦١٥ وفي انكلترا سنة ١٦٢٢ وفي فرنسا سنة ١٦٣١ وفي اسوج ونروج سنة ١٦٤٢ وفي اميركا سنة ١٦٩٠

(٢) اصل الكلاب والحمام

ومنهُ. قرأنا في بعض المجلات ان الكلاب والحمام من اصل واحد فهل ذلك صحيح وكيف تفرعت الكلاب والحمام من اصل واحد

ج يقول اصحاب مذهب النشوء ان الحيوانات كلها مشتقة من اصل واحد او من بضعة اصول وانها تنوَّعت وصارت كما هي الآن لاسباب طبيعيَّة كما صار الورد البريّ الذي ليس في الزهرة من زهرهِ الَّا خمس ورقات بستانيًا في الزهرة منهُ اوراق كثيرة او كما يصير الجنين طفلاً ورجلاً . ومن هذه الاسباب الطبيعيَّة الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي وبقاء الانسب وتغيُّر الاحوال الذي يدعو الى ظهور تغيُّر في الفرد يحفظ بالوراثة . راجعوا ما كتبناهُ عن مذهب دارون في المجلدات السابقة تجدوا فيهِ كثيرًا من التفصيل . اما كون الكلاب والحمام مشتقة من اصل واحد فيصحُّ اذا نظرنا الى اصلهما البعيد الذي يقال ان الوحوش والطيور مشتقة منهُ

---

(٣) سر النجاح

مصر . عبد الحميد افندي فهيم . ما هي اهم النصائح التي يجب ان يُنصَح بها شاب قادم على صناعة او تجارة يريد النجاح

ج لا ينجح احد في عمل ما لم يصر فيهِ ولوع بذلك الامر او هوَس . ومتى تمكَّن منهُ الولوع حتى صار يحلم بعملهِ ويسهر عليهِ وينهض لهُ عند الفجر يكتشف الطرق التي تنجحهُ فيهِ ويجد السبُل التي تكفل لهُ النجاح . فاذا كانت الصناعة او التجارة من الاعمال المحلَّلة الشريفة فاهمُّ ما ينصح بهِ طالبها ان يعكف عليها حتى يصير لهُ ولوع بها فانهُ يفلح حتمًا ولكن يخشى ان هذا الولوع يسهّل عليهِ ارتكاب ما لا يحلُّ او السير في سبُل يأباها الذوق السليم او ينكرها جمهور الفضلاء او يقيدهُ بعملهِ فيمسي اسيرًا لهُ ولا يبقى لهُ شأن الَّا كآلة ميكانيكية تقضي العمل الذي اديرت لاجلهِ كما امسى كثيرون من جامعي الثروة . قال لنا واحد منهم بالامس لقد اصبح دخلي السنوي الآن ثمانين الف جنيه في السنة وانا يكفيني منها مئة جنيه ولا انفق على نفسي اكثر من مئة جنيه ومع ذلك اذا سمعت عن باب يزيد بهِ ربحي ارى نفسي مدفوعًا اليهِ بقوة لا استطيع ردَّها فانا مسيَّر لا مخيَّر . هذا هو الرجل الذي تملكهُ الولوع حتى صار فيهِ هوَسًا او نوعًا من الجنون . ويجب ان يساعَد من خيف عليهِ الوقوع في مثل ذلك حتى لا يعطي نفسهُ هواها . واذا لم تكن التجارة او الصناعة من الاعمال المحللة او الشريفة فاهم ما ينصح بهِ العدول عنها الى غيرها

(٤) اعظم اكتشاف

ومنهُ . ما اعظم اكتشاف افاد العالم اكثر من غيرهِ

ج نظن ان اكتشاف الطباعة افاد الناس اكثر من اي اكتشاف آخر ويدانيهِ في ذلك اكتشاف الكتابة بالحروف الهجائية ثم استنباط الآلات البخاريَّة ثم استنباط الآلات

الكهربائيَّة ومن هذا القبيل اكتشاف باستور وكوخ لميكروبات الامراض

(٥) احسن مجلة فرنسوية

ومنهُ . ما هي احسن مجلة ادبيَّة فرنسويَّة

ج ان مجلة العالمين اوسع المجلات الادبيَّة وكتَّابها من اشهر كتَّاب العصر

(٦) اشهر موءَلفي الروايات

ومنهُ . من هو اشهر موءَلفي الروايات في هذا العصر

ج من المرجح ان تولستوي وكبلنغ اشهر موءَلفي الروايات في هذا العصر وقد كان زولا في طبقتهما

(٧) مروان الحمار

ومنهُ . ما السبب في تلقيب مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية بالحمار

ج قال الامام السيوطي في تاريخ الخلفاء انهُ "لُقب بالحمار لانهُ كان لا يجف لهُ لبدٌ في محاربة الخارجين عليهِ كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويقال في المثل فلان اصبر من حمار في الحرب فلذلك لُقّب بهِ . وقيل لان العرب تسمي كل مئة سنة حمارًا فلما قارب مُلْك بني امية مئة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك" . فترون من هذا ان تلقيبهُ بالحمار يفيد الرفعة لا الضعة

---

(٨) ابن تيمية

مصر . احمد افندي الاسحاقي . طالعت ما نشرتموهُ في الجزء العاشر عن ترجمة لوثيروس وابن تيميَّة فوجدت ارقام تاريخ مولدهِ ووفاتهِ تخالف ما كنت احفظهُ فراجعت تاريخ ابن خلكان فرأَيت فيهِ ما يلي "ومولدهُ في اواخر شعبان سنة اثنتين واربعين وخمساية بمدينة حرّان وتوفي بها في حادي عشر صفر سنة احدى وعشرين وستماية" فكيف اتت تلك الارقام التي في المقتطف عن ميلاد شيخ الاسلام ومتوفاهُ

ج ان ابن تيميَّة الذي ذكرتم تاريخ ولادتهِ ووفاتهِ هو محمد بن تيميَّة الملقب بفخر الدين الخطيب وقد كانت ولادتهُ ووفاتهُ كما ذكرتم . واما المذكور في المقتطف فهو تقي الدين احمد ابن تيمية وهو ولد بحران ايضاً وكانت ولادتهُ في ربيع الاول سنة ٦٦١ وتوفي في ذي القعدة سنة ٧٢٨ كما ذكر في المقتطف

---

(٩) قص الشعر والهلة

المنيا . فضول افندي زرعوني . حينما تقصُّ المرأَة شعر ابنتها تجعل ذلك في ايام معلومة من هلَّة القمر لينمو شعر الابنة سريعاً . وامثال ذلك عند العامَّة كثيرة فيزرعون النباتات ويصنعون المخللات في ايام معلومة من الشهر القمري لكي تجود فهل لذلك صحة او هو من الخرافات المنقولة عن الاقدمين

ج لم يبحث احد حتى الآن عن

صحة ذلك بالامتحان كأن يصنع المخللات مثلاً في كل يوم من ايام الشهر القمري على اسلوب واحد تماماً ثم يقابل بعضها ببعض ويكرر ذلك مرارًا حتى يقف على نتيجة قاطعة بالاستقراء. فان ثبت ان للقمر تأثيرًا فلا يتعذر تعليل تأثيرهِ فان جذبهُ يؤثر في ما على الارض كما يؤثر في المد والجزر ولا بدَّ من ان يكون لنورهِ شيء من التأثير في حياة الاحياء الارضية. واذا لم يثبت لهُ تأثير فيكون المنقول من جملة الخرافات القديمة

(١٠) علاج الحصة

ومنهُ . ما هو احسن علاج لمنع الحصَّة من شعر النساء

ج اذا ابتدأت الحصَّة اي التشقُّق في رؤُوس الشعر فلا بدَّ من قص تلك الرؤُوس ويدهن الشعر بدهان يقويهِ لان التشقق المذكور علامة ضعفهِ . والادهان التي تقوي الشعر كثيرة والغالب ان تكون فيها صبغة الزرَّاح لتهييج الاوعية الدموية حتى يرد بها دم كثير يغذي الشعر

باب الاخبار العلمية

كرم ركفلر وداء السل

بينما كان الاطباء يتجادلون ويتشاحنون في ما قالهُ كوخ عن عدوى السل ويبحثون عن اساليب منعهِ وشفائهِ قام الدكتر ارنست كاسل وجاد بمئتي الف جنيه لتنفق على انشاء مصاحّ يعالج بها المسلولون فظننا ان ذلك منتهى الكرَم ولكن جاءتنا الجرائد العلمية الآن تعلن ان ركفلر المثري الاميركي الشهير جاد بمليون واربع مئة وخمسين الف جنيه لاجل البحث عن دواء يشفي من داء السل وادوية تشفي من غيرهِ من الامراض العقيمة وناط البحث عنها بالمدرسة الطبيَّة في شيكاغو

هبات كارنجي

بلغ ما وهبهُ كارنجي لانكلترا ٣٧٦١٠٠ جنيه ولارلندا ١٠٠٦٠٠ جنيه ولسكتلندا ٢٤٧٩٢٥٠ جنيهاً ولكندا ٩٥٤٠٠٠ ريال اما هباتهُ للولايات المتحدة الاميركية فكثيرة جدًّا اكبرها عشرة ملايين ريال لمدرسة وشنطون الجامعة وسبعة ملايين ريال لمدرسة بتسبرج الجامعة ومليونا ريال لمدرستها الصناعية

مصل ذات الرئة

اكتشف الاستاذ تزوني الايطالي مصلاً يشفي من ذات الرئة وقد جرَّبهُ اولاً في الحيوانات فوجدهُ وافيًا بالمراد فجرَّبهُ في

المصابين بذات الرئة في مستشفى رومية فافاد فائدة كبيرة

بقعة المشتري

يظهر على وجه المشتري بقعة حمراء كبيرة نظرت اولاً منذ اربع وعشرين سنة وبلغ طولها سبعة آلاف ميل وزادت وضوحاً ثم اخذ وضوحها يقلُّ رويدًا رويدًا حتى كادت تختفي تماماً سنة ١٨٩٢ وعادت بعد ذلك الى الظهور والوضوح . وكانت حركتها على وجه المشتري قد اخذت تقل منذ سنة ١٩٠١ والآن عادت الى الزيادة . ومن اغرب ما شوهد ان بقعة سوداء ظهرت على سطح المشتري سنة ١٨٩٠ وكانت تسير على سطحهِ في الجهة التي تسير فيها البقعة الحمراء ولكن سرعتها اشد من سرعة البقعة الحمراء فادركتها ولما وصلت اليها لم تمتزج بها بل حادت عنها وسارت عند حاشيتها الجنوبية . ولا تعلم حقيقة هاتين البقعتين حتى الآن

ضربة الارانب

مُنيت بلاد اوستراليا بالارانب الكثيرة حتى ضاقت بها ذرعاً وعجزت عن التخلص منها بكل طرق العلاج وهي تمرُّ فيها الآن كالسيل الجارف فلا تبقي على عشبة خضراء . واشتدَّ القيظ فيها منذ ست سنوات الى الآن فاهلك الزرع والضرع لكنهُ لم يهلك الارانب ولا خفَّف وطأتها . وقد اشار بعضهم الآن باسلوب طبيعي لاهلاكها وهو ان تقتل الاناث مما يصاد منها وتطلق الذكور فمتى زادت الذكور على الاناث قلَّ نسلها حتى ينقرض . وقال ان الذكور كانت تصاد دون الاناث وتقتل وهذا الذي زاد عدد الارانب لانهُ اذا نقصت الذكور عن الاناث زاد النسل واذا نقصت الاناث عن الذكور قلَّ النسل كثيرًا الى ان ينقرض

الاوتوموبيل في الزراعة والنقل

يظهر ان الاوتوموبيل سيحل مشكلة الآلات الزراعية فيستعمل لحرث الارض وحصدها ويغني عن المواشي . وقد بلغنا ان بعض كبار المزارعين ساعٍ الآن في جلب محاريث بخارية يجرها الاتوموبيل فاذا وفق بالمراد تخلَّص كبار المزارعين من المواشي وخدمتها وعلفها

ثم ان مركبات الاتوموبيل استعملت الآن في اوربا للنقل بدل العربات العادية التي تجرها الخيل والبغال . ونحن نكتب هذه السطور وامامنا صورة مركبة اوتوموبيل كبيرة فيها اكثر من مئة برميل يسوقها رجل واحد، ولا بدَّ من ان سرعتها تفوق سرعة الخيل وليس لها صوت يصمُّ الآذان ولا تتلف الطرق من سيرها عليها لان أُطر عجلها من الكاوتشوك وتبقى الطرق نظيفة من روث البهائم والهواء نقيًا من نفسها

مدرسة البنات الاميركية

احتفلت مدرسة البنات الانجيلية الاميركية الداخلية في السابع والعشرين من فبراير بمنح الشهادات للمنتهيات من تلميذاتها وعددهنّ اثنتا عشرة تلميذة فغصت القاعة بجماهير المدعوين من الوطنيين والاجانب يتقدمهم جناب المكرم جدج لنج وكيل اميركا السياسي وقنصلها الجنرال وجناب اللادي كرومر وكانت القاعة مزينة بالرايات والاعلام والرياحين والازهار زينة تأخذ بمجامع القلوب وتبهر الابصار فرنم التلميذات الترنيمات الشجيَّة وانشدن الاشعار وخطبن الخطب العربية وتلون المقالات الانكليزيَّة والعربية اما الخطب العربيَّة فاحداها في الآثار التي لا تمحى للتلميذة المنتهية حنونه سعد. واخرى في حياة هلن كار للمنتهية هانم فهمي . واخرى في الموسيقى للمنتهية ليزه شنوده . واخرى في كيف نرتقي للمنتهية مريم سليمان. واخرى في الشمعة للمنتهية زكية حنا . واخرى في الميكروب . للمنتهية روز فرازلي . واخرى ارجوزة طبية للمنتهية فريدة نخله واخرى وهي الوداعية في المرساة للمنتهية مرتا اسرافيل

ومن ابدع ما جرى في هذا الاحتفال باللغة الانكليزية ان المنتهيات مثّلن شهيرات النساء في كل العصور فأقامت واحدة منهنّ في بيت لاستقبالهنّ فدخلت اولاً فتاة تمثل المرحومة الملكة فكتوريا وتلتها اخرى تمثل جان دراك وهي لابسة مثل لباسها وبيدها رمح وشعرها مسدول على ظهرها فقصت مختصر سيرتها ودخلت بعدها ملكة اليابان لابسة لباس اليابانيات وبيدها مظلة . ثم ملكة سبا وعلى رأسها اكليل من الازهار ووراءها جارية تحمل لها مروحة فقالت انها اتت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان . وتلتها المصلحة الاميركية مسز ستانتون واخبرت بما فعلت لانالة النساء حقوقهنّ فوضعت الملكة فكتوريا اكليلاً من الآس على رأسها واتت بعدها استير الملكة وقالت مهما كانت حياة الانسان قصيرة فهي طويلة بالنظر الى الاعمال التي يعملها وان انقاذها لشعبها كان بعون الله وارشادهِ . وافتقد الحضور كليوباطرة فقيل لعلها مشغولة بتزيين نفسها ولكن لم يطل انتظارها حتى حضرت بعظمتها وقصت مختصر سيرتها . ثم غنى هؤلاء الشهيرات أُغنية مطربة وانصرفنَ

ومن محاسن هذه الحفلة ايضاً ترتيل المنتهيات بالايماء فكانت حضرة مسز كوبر تغني بالانكليزية والمنتهيات يرافقنها بالاشارات حسب معنى الغناء فاطرب ذلك السامعين جداً

وبعد الخطبة الوداعية وزع جناب جدج لونج وكيل اميركا السياسي وقنصلها الجنرال الشهادات على المنتهيات وخاطبهنّ احدنا بما يناسب المقام وتلاهُ آخرون في الختام

ثم دخل المدعوون الى الغرفة التي عرضت فيها اشغال التلميذات بالابرة وخطوطهنَّ فاعجبوا بجمالها واتقانها كثيراً واثنوا على حضرة مس كايل رئيسة المدرسة وحضرات معلمات المدرسة ثناء عظيماً لما رأوا من دلائل تقدم التلميذات في هذه السنة تقدماً عظيماً جداً وانصرفوا وهم يتحدثون بفضل حضرات المرسلين الاميركيين على ما يبذلون من الجهد في تثقيف العقول وتقويم الاخلاق وخدمة هذا القطر خدمة جليلة يذكرها لهم اهلهُ دوماً بالدعاء والشكر

زورق زبلن

لما حبطت مساعي الكونت زبلن في عمل بالونهِ المشهور استنبط ما هو انفع منهُ زورقاً بخارياً رقَّاصةُ في الهواء لا في الماء فهو يصلح لانهار البلدان الحارة وبحيراتها حيث تكثر النباتات المائية وتعلق برفاص السفن وتمنع سيرها ويصلح ايضاً لركوب النيل في ايام التحاريق لانهُ لا يغوص الاَّ ٢٥ سنتمترًا وهو يقطع من ١٤ الى ١٦ ميلاً في الساعة

زوبعة تهيتي

ثارت زوبعة شديدة في جزائر تهيتي او جزائر الشركاء بين الرابع عشر والسادس عشر من يناير الماضي فشملت ثمانين جزيرة وقتلت الف نفس من سكانها . ويقال ان امواج البحر علت حتى بلغ ارتفاعها نحو اربعين قدماً وهجمت على الجزائر فغرَّقت المنخفض منها

زلزلة اندجان

من اخبار بطرس برج ان زلزلة اندجان التي حدثت في ١٦ دسمبر قتلت عشرة آلاف نفس لا ٢٥٠٠ فقط كما قيل قبلاً وقد تكرَّرت الهزات في التاسع عشر والعشرين من يناير الماضي

قنابل الرصاص

صُنعت قنابل جديدة تحشى بالرصاص ومادة اخرى تشتعل بسرعة وتذيب الرصاص فاذا أُطلقت هذه القنابل ذاب الرصاص في جوفها وانفجرت فيتطاير الرصاص الذائب منها ويصيب الناس فيحرق ثيابهم وابدانهم ويجرحهم جراحاً مبرّحة تمنعهم عن مداومة القتال فهو شرٌّ من القنابل الرشاشة ومن كل وسائل الهلاك والتدمير وعسى ان يخاف الجنود شر هذه القنابل فيعصوا حكامهم ويمتنعوا عن النزول الى ميادين القتال

المنغاليوم افيد المعادن

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة فوائد الاليومنوم وامزجتهِ وأبنَّا انهُ يعترض عليهِ بعدم متانتهِ وقد كشفت طريقة جديدة لجعلهِ صلباً متيناً ويبقى ابيض كالفضة ويصقل مثلها ولا يتكدَّر سطحهُ من تعريضهِ للهواء وهي ان يمزج بقليل من المغنيسيوم . ويبقى بعد مزجهِ بهِ خفيفاً بل يصير اخف مما كان فيصير ثقلهُ النوعي ٢٫٤٠ مع ان ثقل

الاليومنوم الصرف ٦‚٢ لان ثقل المغنيسيوم النوعي ٧‚١ . وكلما زاد المغنيسيوم زاد المزيج خفَّة وصلابة . وهو موصل جيد للحرارة والكهربائيَّة ومتانتهُ مثل متانة الحديد الصاج اي ١٦ طنًّا لكل عقدة مربعة وهو يُبرد مثل الحديد ويخرط مثلهُ ويصهر ايضاً مثلهُ ويلحم بعضهُ ببعض ويمكن افراغهُ في القوالب وسحبهُ اسلاكاً دقيقة وتعمل منهُ البراغي والانابيب وما اشبه فيصلح لعمل النظارات بنوع خاص ولا بدَّ من ان يفيد في عمل الآلات الطيارة لخفتهِ ومتانتهِ وفي بناء المراكب لان ماء البحر لا يؤثر فيهِ . ولكنهُ لا يزال غالي الثمن فان ثمن الاقة منهُ تساوي اربعين غرشاً الى خمسين ولكنهُ ارخص ممَّا كان ثمن الاليومنوم منذ عشر سنوات فاذا رخص من الآن الى عشر سنوات كما رخص الاليومنوم قام مقامهُ ومقام النحاس والفضة ايضاً وقد أُطلق عليهِ اسم المنغاليوم

آلة لغسل الثياب

اخترع رجل مجري آلة كهربائية تغسل الثياب من غير صابون فان كهربائيتها تزيل ما على الثياب من وسخ وقذر وتنظفها جيداً من غير ان يلمسها انسان

اللغم المائي

وهبت جمعيَّة الفنون في بلاد الانكليز المستر جمس تونغ وسامها الذهبي لانهُ استنبط لغماً مائيًّا تلغم بهِ مناجم الفحم الحجري بدل البارود فينفعل فعلهُ من غير صوت ولا دخان وليس منهُ اقل خطر كما من انفجار البارود وكيفية استعمالهِ ان يثقب الحجر او الفحم الحجري كما يثقب لوضع البارود تماماً ويدخل فيهِ اللغم دخولاً محكماً وهو انبوب من الحديد طولهُ ١٨ عقدة وقطرهُ ٣ عقد وفيهِ ثمانية ثقوب جانبيَّة يخرج منها ثمانية مسامير مزدوجة وفيهِ ثقب على طولهِ قطرهُ ثمن عقدة ويوصل بهذا اللغم انبوب متصل بطلمبات مائية صغيرة فيها نحو رطل من الماء . ويسند الحجر او الفحم الذي يراد اقتلاعهُ باللغم ثم يدفع الماء بالطلمبا في الانبوب فيدفع المسامير الجانبية ويفعل فعل البارود ويمزّق الحجر ويقتلعهُ من موضعهِ ويعلم ذلك من اصوات الانكسار التي تخرج منهُ ثم ترفع الدعامة من تحتهِ فيقع من مكانهِ

خزَّان الكهربائية

يقال ان المستر اديصن يصنع الآن خمسة اتوموبيلات كهربائية يستطيع كلٌّ منها ان يسير خمسة آلاف ميل بالخزان الجديد الذي استنبطهُ لخزن الكهربائية . وعندهُ انهُ كلما ملئ هذا الخزَّان مرَّةً امكن تسيير الاتوموبيل بهِ مئة ميل

الكهربائية ونمو النبات

امتحن الدكتور لمسترُم فعل الكهربائيَّة

بنمو النبات فزرع نباتات مختلفة ووصل ترابها بالمجرى الكهربائي خمس ساعات كل يوم وزرع نباتات اخرى من نوعها ولم يوصل ترابها بالمجرى الكهربائي فوجد بعد تكرار الامتحان ان الكهربائية تزيد نمو اللفت ١٠٧ في المئة ونمو البطاطس ٧٦ في المئة ونمو الفجل ٥٩ في المئة ونمو الكرفس ٥٤ في المئة ونمو الكراث ٤٢ في المئة ونمو الكرنب ٤٣ في المئة وتسرع نضج الشليك فينضج في ٢٦ الى ٣٣ يوماً حيث لا ينضج عادة الاَّ في ٥٤ يوماً بعد زرعهِ

حركة سطح الارض

الراسخ في الاذهان ان سطح الارض ثابت لا يتحرَّك ولو كانت الارض كلها تدور على محورها وتدور حول الشمس . لكن ظهر الآن من آلة دقيقة صنعها الاستاذ ملن الانكليزي ان سطح الارض يتحرك دواماً فيرتفع في بعض شهور السنة وينخفض في البعض الآخر كأن صدرها يخفق خفقان صدر الانسان . ويتحرك ايضاً ذات اليمين وذات اليسار حتى ان الابنية العالية تميل الى جهة الغرب خمسة اشهر من شهور السنة ثم تعود الى وضعها العمودي وتميل بعدهُ الى جهة الشرق وهلمَّ جرًّا وتتحرك غير ذلك حركات تابعة لثقل الهواء وخفتهِ عليها حتى لقد يعرف بهذه الآلة ما اذا حدث نوءٌ على سطح الارض في مكان بعيد عنها . وفي نيتهِ ان يستعمل آلتهُ للدلالة على حدوث الانواء والانباء بها قبل وصولها

قناديل الأُسميوم

الأُسميوم معدن كالبلاتين لكنهُ لا يصهر الاَّ اذا زادت الحرارة عن الحرارة اللازمة لصهر البلاتين وقد وجد اور صاحب الشبكة التي توضع في القناديل وتسمَّى باسمهِ انهُ يمكن استعمال هذا المعدن بدل اسلاك الكربون للقناديل الكهربائية فيصير نورها اضعاف ما هو الآن فانهُ جرَّب قناديل اسلاكها من الأُسميوم وقناديل عادية اسلاكها من الكربون فوجد انهُ اذا كان نور القنديل الثاني قدر نور ست شمعات فنور القنديل الاول قدر نور عشرين شمعة مع ان الكهربائية واحدة في الاثنين . ويمكن عمل قناديل الأُسميوم حتى تكون قوتها من شمعتين الى مئتي شمعة واذا اسودَّ القنديل منها امكن تجديدهُ بدون تغييرهِ . لكن معدن الاسميوم غالي الثمن جدًّا فعسى ان تكشف طريقة لاستخراجهِ بكثرة وترخيص ثمنهِ

سبب تلف الاسنان

بيَّن احد الباحثين ان الذي يتلف اسنان اهالي اوربا واميركا هو مادة حامضة موجودة في نخالة القمح فتتحد بمينا الاسنان وتتلفها وقد كان الناس قبلاً يطحنون قمحهم بالارحية المبسوطة فصاروا يطحنونهُ الآن بارحية اسطوانية

لان دقيقها اشد بياضاً لكنهُ يبقي في الدقيق جانباً من هذه المادة الحامضة التي تنخر الاسنان وتتلفها

عدو بعوض الملاريا

ذهب الدكتور دمبولف الى بلاد غينيا الجديدة التابعة لالمانيا للبحث عن الحمَّى الملارية بدلاً من الدكتور كوخ فاكتشف في مياهها حشرة مائية تأكل دود البعوض الذي ينقل ميكروب الملاريا وهو يظن انهُ يمكن ان تربى هذه الحشرة في المياه التي يتولد فيها بعوض الملاريا فيستأصل بهِ منها . ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

تلغراف مركوني

احتفل نادٍ من اندية لندن بمركوني احتفالاً حضرهُ كثيرون من عظماء الانكليز فتكلم فيهِ وعدَّد المصاعب التي لقيها في سبيل تلغرافهِ وقال انهُ لا صحَّة لما قيل من ان ملك الانكليز لم يساعدهُ فقد استدعاهُ الى يخته وابقاهُ عندهُ ثلاثة اسابيع يجرب تلغرافهُ فيهِ وان حكومة كندا عضدتهُ بالمال وحكومة ايطاليا اقرَّت على انشاء اكبر مركز في الدنيا لتلغرافهِ حتى تخاطب بهِ اميركا وانهُ اتَّفق الآن مع جريدة يومية من جرائد لندن على موافاتها بالاخبار اليومية من بلاد كندا باميركا وذلك بتلغرافهِ

مقدرة المال

قال بعضهم ان المستر ركفلر والمستر مورغان يدير كلٌّ منهما مئتي مليون من الجنيهات او الف مليون من الريالات فيستطيع ان يفعل بها الامور التالية في الولايات المتحدة وهي

(١) يتسلط على بنوك البلاد كلها بمئتي مليون من الريالات فتصير طوع امرهِ

(٢) يتسلط على سكك الحديد كلها بمئتي مليون من الريالات

(٣) يتسلط على كل المناجم ودور الصناعة الكبيرة بمئتين وسبعين مليوناً من الريالات

(٤) يتسلط على كل الجرائد الكبيرة في البلاد بمئة مليون من الريالات

(٥) يتسلط على كل الوكالات التجاريَّة بخمسة ملايين من الريالات

(٦) يتسلَّط على الكنائس والملاجئ بعشرين مليوناً من الريالات

(٧) يتسلط على الخطباء والمحامين بخمسة ملايين من الريالات

(٨) ويبقى معهُ مئتا مليون ريال يودعها خزائن الحديد

فتصير لهُ السلطة التامة على البنوك وسكك الحديد ودور الصناعة والجرائد والخطباء والمحامين ورجال الدين ويبقى معهُ مئتا مليون ريال او اربعون مليون جنيه

يفعل بها ما يشاءُ فيرفع الاسعار ويخفضها ويغني التجار ويفقرهم وتمسي الحكومة كلها طوع بنانهِ

البالون وحرارة الجو

تناظر ركّاب البالون من الفرنسويين والالمانيين والنمسويين والايطاليين والروسيين والاميركيين فكان اعظم ارتفاع بلغوهُ في اتقل قرب باريس ١٤٨٢٣ مترًا وكانت حرارة الجو على هذا الارتفاع ٩,٥٢ تحت الصفر وكانت على سطح الارض هنالك ٤,٨ تحت الصفر وفي ستراسبرج ١٦٥٠٠ متر وكانت حرارة الجو هناك ٢,٦٢ تحت الصفر وعلى الارض ٨,٦ تحت الصفر. وفي برلين ١٤٤٦٥ مترًا وكانت حرارة الجو هناك ٣٥ تحت الصفر وعلى الارض ٥,١١ تحت الصفر. وفي باڤلوفسك ١٧٧٠٠ متر وبلغت الحرارة اخفضها حين كان الارتفاع ١٢٢٠٠ مترًا فقط وكانت هناك ٥,٦٣ تحت الصفر وكانت على الارض ٧,٢٠ تحت الصفر

الفلك عند الاقدمين

ان قطع الاجر التي اكتشفها الاستاذ هلبرخت في خرائب نبور وعددها نحو مئة وخمسين الف قطعة على كثير منها كتابات فلكيَّة والمظنون انها ستكشف امورًا كثيرة ممَّا كان يعلمهُ الكلدانيون عن علم الفلك قبل المسيح بالفين وثلثمئة سنة

قوة النمل

رأى بعضهم نملة صغيرة تجرُّ جندبًا ميتً
فرفعها ووزنها ووزن الجندب فوجد وزنها ثلاثة
مليغرامات وخمس المليغرام ووزن الجندب
١٦٠ مليغرامًا وظاهر الامر انهُ لو كانت قو
الانسان مثل قوتها لاستطاع ان يجرَّ جسمً
ثقلهُ نحو مئة قنطار مصري

كيف مات اهالي سان بير

اختلفت آراءُ العلماءِ في كيف مات اهال
سان بير لما ثار بركان بيلي في الصيف الماض
وقتل خمسة وثلاثين الفًا في دقيقتين من
الزمان قال الاستاذ فسيل ان السبب الاكبر
لموتهم انفجار الغازات المدفوعة من البركان فان
الحرارة كانت كافية لحل الماءِ الى عنصري
الاكسجين والهيدروجين ولحل غاز الكلور من
الملح الذي في ماءِ البحر فاندفعت هذه الغازات
الثلاثة بغتةً بقوة شديدة وانفجرت في الهوا
فوق قمة الجبل فمات اكثر الناس من هذا الانفجا
الحادث من اتحاد الاكسجين بالهيدروجين
وبذلك يعلَّل احتراق لحمهم وثيابهم واحترا
المباني والسفن واتحد الكلور ببعض الهيدروجين
فتكوَّن من ذلك غاز سام قتل الذين
يقتلهم الانفجار

وقال الدكتور نيكولس انهُ انشق جانب
البركان بغتة فوق سان بير وانفجرت منهُ الحم
والبخار والغازات الشديدة الحرارة وانهال

على المدينة ومزّق البخار الحمم فصيّرها رمالاً ورماداً فوصلت الى المدينة وحرارتها الف درجة فعصف من امامها عاصف شديد الحمو يقتل الانسان والحيوان في لحظة من الزمان ويحرق كل ما يقبل الاحتراق . هذا الذي اظن انهُ حدث ولم يقتل الناس بالكهربائية ولا بالغازات السامة

وقال المسيو لاكروى والمسيو جيرو امام اكادمية باريس انهُ كان بين الغازات البركانية كثير من اكسيد الكبريت الثاني وهو كافٍ لاماتة الناس وقالا ان اناساً كانوا في زورق لما ثار بركان السوفرير فرموا بانفسهم الى البحر لينجوا من الحمم التي انهالت عليهم ولما عادوا الى وجه الماء وجدوا الهواء مشحوناً بغازات كريهة لا تطاق فغاصوا في الماء ثانية وظلوا يتردَّدون بين الهواء والماء الى ان صار يسهل عليهم تنفُّس الهواء وكانوا قد صاروا على آخر رمق

ويقال انهُ وجدت بعض الجثث في سان بير في حالة تدلُّ على ان اصحابها ماتوا فجأة من ذلك جثة واقفة تدل على ان الموت ادرك صاحبها وهو راكض

اللون الخفي

تحاول النظارات الحربيَّة الباس الجنود ثياباً لا يظهرون بها عن بعدٍ وقد اختار الانكليز في حرب الترنسفال لوناً رمادياً ضارباً الى الصفرة ظنًّا منهم ان الجنود اللابسة كذلك لا تبين للاعداء وهذا خطاءٌ لانها تبين كخط لهُ لون واحد مخالف للون ما حولهُ . ولو اختلف لبسها فلبس واحد منها ثياباً حمراء وواحد ثياباً زرقاء وواحد ثياباً صفراء وهلمَّ جرًّا لامتزجت هذه الالوان بعضها ببعض وخير من ذلك ان يلبس كلُّ جندي الواناً مختلفة فلا يعود يُرَى عن بعد . وقد امتحن الانكليز تلوين المدافع ومركباتها بخطوط حمراء وزرقاء وصفراء فلم تعد تظهر عن بعد ويقال انهُ اذا لونت كما تلوَّن الحيوانات كان ذلك اصلح لها فيجعل اسفلها ابيض كما يكون بطن الغزال والوعل حتى اذا وقع الظل عليهِ لم يبن بهِ

قنابل الذهب

وجد رجل هندي قنبلة سوداء في أجمة من آجام الهند فظنها حديداً ولكنهُ وزنها فوجدها اثقل من الحديد جداً فحملها الى بيتهِ وخدشها بسكين فاذا هي ذهب صرف ووزنها نحو ثمانية ارطال . وثبت من التحري انها من القنابل التي اطلقتها الملكة كندى لماحاصرها السلطان جلال الدين محمد اكبر فانها يئست من النجاة ولم تشأ ان تقع كنوزها في يدهِ فامرت بسبكها قنابل واطلقتها الى الآجام المجاورة وكان ذلك في اواخر القرن السادس عشر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين

١٩٣ السرجورج ستوكس (مصوَّرة)

١٩٦ السنيور مركوني (مصوَّرة)

٢٠٠ غرض علم الميكروبات

٢٠٢ تنقية الهواء

٢٠٥ حلُّ مسألة الاسيتيلين

٢٠٦ سدود النيل (مصوَّرة)

٢٠٩ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله

٢١٨ ناموس النشوء في تقدم العمران . لمتري افندي قندلفت

٢٢٤ وصية فؤاد باشا

٢٣١ من هو المقوقس

٢٣٧ مشاهير الزمان

٢٤٣ طبائع الغربان (مصوَّرة)

٢٤٧ الربو وعلاجهُ

---

٢٥٠ باب تدبير المنزل * تمريض المرضى · العوارض البيتية · آداب المائدة

٢٥٦ باب المراسلة والمناظرة * قراءة الصحف · منزلة الشعر من التاريخ · مؤتمر المستشرقين

٢٦١ باب الزراعة * المعرض الزراعي · موسم القطن هذا العام · مستقبل ثمن الاطيان · الجمعية الزراعية · ذبح العجول

٢٦٦ باب الصناعة * تذهيب الزجاج · تذهيب الحديد · تذهيب العاج · تذهيب الصلب (الفولاذ) حفظ الازهار . العاج الصناعي من البطاطس

٢٦٨ باب المسائل * تاريخ الصحافة · اصل الكلاب والحمام · سر النجاح · اعظم اكتشاف أحسن مجلة فرنسوية · اشهر مؤلفي الروايات · مروان الحمار . ابن تيمية . قص الشعر والهلة · علاج الحصة

٢٧١ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٩ نبذة

رواية كليوباطرة ملحقة بالمقتطف

الفصل الرابع

انفضّ الحشدُ سريعاً لاسيما وانهم سمعوا المغني انكسنور يغني نشيداً على درج ملعب ديونيسوس نظمهُ في مدح كليو باطرة وانطونيوس حاسباً انهما فازا على العدو فوزاً مبيناً فاختلب الالباب بحسن توقيعهِ و بلاغة معانيهِ

ولما انفرط عقدهم وقل عددهم في الساحة نزلت بارين عن السطح وهي خافقة الفؤاد لان كثيرين خطبوا ودّها بعد ان تحرّرت من زوجها ولكن قلبها لم يمل الآ الى ديون فاتخذتهُ صديقاً ودوداً اما الآن فشعرت انها تحبهُ وانهُ يحبها ولم يكن يأتي بيتها لمجرّد التسلية بل ان حبهُ لها كان يدفعهُ الى ذلك وانهُ لولا حبها ما اقدم على مقاومة فيلستراتس على رؤوس الاشهاد لاسيما وان الكساس اخا فيلستراتس كان من اخص خواص مرقص انطونيوس . ثم قالت في نفسها لقد اخذ بثأري من هذا الرجل واخيهِ

والزمن الذي اقامتهُ مع زوجها كان كلهُ نكداً ونغصاً وابتعاداً عن الناس فلم تصدّق ان طُلّقت منهُ وعادت اليها نضارة الصبا حتى فتحت بيتها للاصدقاء وكانت ترحّب بهم على السواء ولا تميز واحداً على آخر حتى ديون نفسهُ لم تكن تعاملهُ بغير ما تعامل بهِ سواهُ . اما الآن فرأت ان هذا الاختلاط لم يعد مأمون العثار وانهُ لا بدَّ لها من ان تبدي ميلها الى ديون فتقع المناظرة بين زوّارها ويحدث ما لا تحمد عقباهُ ولذلك يجب ان تقفل ابوابها دون الجميع ولا تفتحها الآ لهُ اذا اراد ان تكون لهُ زوجةً فتجد معهُ السرور الذي تتوق اليهِ نفسها . كانت تفكر في ذلك وهي راجعة الى بيت جدها وجورجياس سائر الى جانبها وهي لا تنبس ببنت شفة على خلاف عادتها

اما ديون فخرج من الساحة مبتهجاً بظفرهِ حاسباً انهُ جاهد في سبيل الدفاع عن رجل مظلوم وقهر خصمهُ الظالم العاتي وودّ ان يلتقي ببارين واخذ يفكر في كيف يصف لها ما حدث ولا تشمُّ من وصفهِ رائحة المن عليها فابرقت اسرّتهُ قليلاً ثم عبس وتولاّهُ الكدر فانهُ تصوّر نفسهُ واقفاً في حديقة قصرهِ بين الاشجار والرياحين وبارين واقفة معهُ تنظر اليهِ بوجهها الصبوح ثم اختفت بغتةً من امام عينيهِ . فقال ما شأني وهذه المرأة اني لم اتعرّف بها الآ منذ بضعة اشهر وقد سرّني ما رأيتهُ منها من عذوبة المنطق وذكاء العقل والجمال الفتّان فهل افتتنتُ بها وصرت لا املك قياد نفسي حتى اضطرّ يوماً ما ان ارتبط بها بعقد الزواج بعد ان كانت زوجةً لرجل آخر وبعد ان رأيت بيتها مجمعاً لاناس مختلفي المذاهب والمشارب

نعم انها انموذج العفّة والطهارة صفحتها بيضاء كالثلج ولكن الناس يعدُّونها مثل اسباسيا فهل

يليق بي وانا فرع الارومة المكدونية العريقة النسب ان آخذها الى قصري لتقيم فيهِ خليلةً لي هل يليق بي ان افعل ذلك وجدها دديموس الفيلسوف الذي لهُ الفضل الاكبر عليَّ وعلى ابي من قبلي فضل الاستاذ على التلميذ. لو فعلتُ ذلك ما لامني احد من اهالي الاسكندرية لا سيما وان ملكتنا تقيم الآن مع زوج امرأة اخرى وقد فعلتْ مثل ذلك قبلاً لما سلمتْ امرها لقيصر ولكن شهامتي لا تبيح لي ان اعامل بارين معاملة الخليلة . واذا بقيت قريبًا منها فقد لا استطيع ان اسلم من هواها

فعزم ان يستغيث بيبثو الهة الاقناع حتى تعضد ارخبيوس على اقناع بارين بترك المدينة عساهُ ان يسلوها بالبعاد عنها. وامسى من تلك الساعة كريشة بمهبّ الريح تلعب بهِ الاهواء واراد ان يعود الى بيت دديموس ولكنهُ خاف ان يلتقي ببارين فتتغلّب عليهِ فعزم ان يذهب الى بيتهِ من غير ان يراها لكنهُ قال في نفسهِ ربما قبلتْ مشورة ارخبيوس وخرجتْ من الاسكندرية قبل ان ارها افلا اتزود منها بنظرة واسمع منها كلمة شكر على دفاعي عنها وعن جدها . فحاربتهُ هذه الافكار ووقف لا يدري ماذا يفعل وقامت الحرب بين عقلهِ وقلبهِ فزادت جراحهُ تبريحًا

وكان سائرًا في الطريق السلطاني المار بين البحر وملعب ديونيسوس فخطر ببالهِ ان صديقهُ جورجياس يريد ان ينصب تمثال كليوباطرة وانطونيوس امام ذلك الملعب فمال اليهِ ليرى كيف يكون منظر التمثال فيهِ وكان الجمع لا يزال يهتف لكليوباطرة ويسميها ايسس الثانية ولانطونيوس ويسميهِ ديونيسوس الثاني ثم سمع بعضهم ينادون قائلين هلمَّ الى السبستيوم وهو قصر الملكة المقابل لدار الحكومة التي فيها النائب لانهم كانوا يريدون ان يقفوا على ما يؤيد الخبر الذي سمعوهُ من المغني . فعزم ان يسير معهم لكي يقف على حقيقة الخبر ايضًا وقبل ان سار خطوتين سمع اصوات السيَّاس تشقُّ عنان الفضاء فالتفت واذا محفَّة ايراس وهي اعلم الناس باخبار الملكة لكن الوصول اليها كان ضربًا من المحال في ذلك الازدحام اما هي فرأتهُ وعرفتهُ فاوقفت محفَّتها ونادتهُ اليها والقت عليهِ مسائل كثيرة من غير ان تحييهُ سائلةً عن سبب هذا الازدحام وعمَّن اتى بخبر النصر وعن المكان الذي يقصدهُ الجمع في ذهابهِ الآن . فلقي مشقَّة عظيمة في البقاء بجانب محفتها لان الجمهور كان يدفعهُ في سيرهِ وكانت المحفَّة امام الهيكل الذي يقال لهُ التيه لتعرّج طريقهِ الداخلي وكان يقفل بعد غروب الشمس فامرت حاملي محفتها ان يقتربوا بها من بابهِ ونادت البواب فعرفها وفتح لها الباب الخارجي فقالت للحمالين ان يضعوا المحفة داخلهُ ويقفوا خارجًا . وطلب ديون منها ان تنزل من المحفة وتمشي معهُ وهما يتكلمان فابت

فائلة ان تيه الحياة يغني عن هذا التيه ثم نظرت اليهِ وقالت يظهر لي انك سائر في تيهٍ آخر على مَ قاومت النائب وعمك ووافقت الجمع مثل مثيري الفتَن

فقال مثل فيلستراتس الذي فاز برضاكِ فاعطيتهُ ما يستحقهُ

فقالت نعم مثلهُ واظن انك انت القيتهُ في الماء بعد ان سكبت عليهِ جام غضبك . ولقد يفوز الانسان في ما يدعوهُ الحب الى فعلهِ وعسى ان لا يقوم اخو فيلستراتس ويثير غضب انطونيوس عليك اما انا فلا يهمني الاَّ ان اعرف لماذا تعرَّضتَ لهذا الرجل

فقال لان دديموس معلم ابي ولا يحق ان تؤْخذ حديقتهُ غصباً عنهُ وفوق ذلك فان الحديقة لا تصلح لنصب التمثال فالذوق يدعو الى منع نصبهِ فيها

فضحكت وقالت "هذا كلام انسان لا يقول الاَّ ما في ضميرهِ". فقال نعم وانت تعرفينني اني لا اقول الاَّ ما في ضميري وجورجياس المهندس من رأْيي في ذلك . فقالت نعم بلغني انكما من زوار تلك المرأَة — ما هو اسمها — بارين بارين الفتَّانة

فقال اني اتكلَّم عن صنعة المخلوق وانتِ تتكلمين عن صنعة الخالق — عمَّا صنعتهُ الالهة وابدعت صنعهُ ولكنها لم تكن ببالي حينما دافعت عن جدها

فنظرت اليهِ بالتهكم وقالت نعم انكم معشر الشبان تدافعون عن معلمي آبائكم ولا تخطر ببالكم بناتهم ولا بنات بناتهم. ثم ازاحت شعرها عن جبينها وقالت ولكن لا ادري كيف تخطر ببالي هذه الامور الآن وعلى ظهري جبل من الهموم . وما شأني وهذا العالم ولو ملأَ الدنيا بمؤلفاتهِ والاسكندرية ببناتهِ لو لا انهُ يجب علينا في هذه الساعة ان نزيل كل عثرة من طريق الملكة وكل ما يمكن ان يكدر صفو عيشها . فقد اتيتُ الآن من القصر الذي فيهِ اولاد الملكة فهل تصدق ما بلغني هناك لكنني لا اصدق

فقال هل سمعتِ شيئاً عن الاسطول . فلم تجب بالكلام بل اشارت برأسها كأَنها تقول نعم وكان في يدها مروحة من ريش النعام فوضعتها على فيها كانها تمنع نفسها بها عن النطق . ثم قالت بصوت منخفض لا بدَّ من كتم الامر . بحَّارة من رودس نقلوا هذا الخبر ولكن شكراً للآلهة لم يأْتِ ما يؤَيدهُ. ولا يمكن ان يكون صحيحاً . اني اكره ما فعلهُ ذلك المغني وكثيراً ما يصاب الانسان باشد الضرر من الذين يريدون لهُ الخير. انتَ تقدر ان تكتم السر كما كنت تفعل ونحن صغار فهل تستطيع الآن ان تغوص الماء لاجلي كما كنت تفعل حينئذٍ لا اظن ولكنني لا ازال اثق بك ولا بدَّ من ان اخبرك لعلك تساعدني رأَيتُ الولد راجعاً الى القصر قبل ان خرجتُ منهُ وكلمتهُ

فقال ديون أصحيح ان قيصاريون يحب بارين

فقالت اذاً هذا الامر لم يبقَ مكتوماً وا فضيحتاهُ واذا رجعت الملكة الآن ولم يكن النصر تامًّا لها ونظرت الى الذين تنتظر منهم السلوى لها والترفُّع عن الدنايا وعرفت ما اصاب الولد — وكيف يخفى ذلك على فطنتها وهي احكم النساء — فكيف يكون شأنها فانهُ اعز اولادها . وكم يكون المها ولومها للذين كان يجب ان يدفعهم حبهم لها على وقاية ابنها من هذه التهلكة

فقال وعلى ذلك رأيتِ ان لا بد من ازالة سبب ما حدث ولا تنال هذه الغاية الأ بهدم بيت دديموس

وقد اصاب ظنهُ لانها كانت قاصدة ان تدفع دديموس الى مقاومة الحكومة فيُحكَم عليه بالعقاب ويعاقب اولادهُ واولاد اولادهِ معهُ حسب القوانين المصرية في ذلك العهد ويحكم عليهم بالنفي . لكن ديون رأى في كلامها وحركاتها انها ليست مدفوعة الى ذلك بحبّ الانتقام بل بالغيرة العمياء على مولاتها واستسهال كل صعب في سبيل نجاتها ممَّا يمكن ان يكدر صفو عيشها ولا سيما في زمن المحنة . وكان يعرف انها لا تحول عن عزمها فصار همهُ الاول ان يحمي بارين منها . وكان يودها لانها من اترابهِ وقد ربي معها لان بيت ابيها كان مجاورًا بيت ابيه فاراد ايضاً ان يريح بالها من هذا الهم المقلق . وقد استغربت ما قالهُ الآن لانها رأت انهُ ادرك غايتها لكنها سرَّت بما رأت فيهِ من الفراسة لانها كانت تحبهُ ولانها ربيت حيث يكون للفراسة والذكاء المقام الاول فنظرت اليهِ نظر المستغيث المستجير وقالت نعم يا ديون يجب ان نبعد هذه المرأة عن الاسكندريَّة او هل ترى سبيلاً آخر لوقاية هذا الشاب المغرور منها . انتَ تعرفني جيدًا وتعرف انني لا اعتدي على احد ولا استحلُّ عملاً مثل هذا الَّا عند الضرورة الشديدة وانت قلت امس انك تزور هذه المرأة لمجرَّد التسلية العقلية والادبية لا لانك تحبها . وانا اعد اصدق احدًا ولكنني لا ازال اصدقك فلا أُلام اذا ظننت انك تنتظر شكرها لاجل دفاعك عن جدها ولكن ألم يبلغك ان زفس لا يقبل نذور المحبين عساك ان تكشف سرك ويظهر لي انك من رأيي

فقال نعم انا من رأيك ويجب ان تبعد بارين من طريق هذا الفتى فان تعرُّضهُ لها يغيظني كما يغيظكِ . ومعلوم انهُ لا يستطيع ان يخرج من المدينة في هذه الاوقات الحرجة فيسهل ابعادها عنهُ بابعادها عن المدينة ولكن لا بدَّ من ان يكون ذلك على غاية اللين

فقالت نعم وفي مركبة من الذهب مكلَّلة باكاليل الورد على ما تشتهي

فتبسَّم وقال ولكن ذلك يحوِّل الانظار اليها . الَّا اني غير مسرور من تصرُّفكِ هذا و

عرفت غرضكِ ومع ذلك ساساعدكِ على نيل مرادكِ . والسبيل الذي اخذتهِ اعوج ولكنهُ يوصل الى الغرض مثل السبيل المستقيم وقد يكون اسهل مراساً منهُ ولكنني افضل السبيل المستقيم على الاعوج واظنني وجدت سبيلاً مستقيماً وهو ان احد الاصدقاء يدعو بارين الى ابعديتهِ وهي في ناحية البحيرات

فنظرت اليهِ نظر الغيظ وقطبت حاجبيها وقالت " انت تدعوها "

فاجابها بصوت التوبيخ قائلاً اتظنين انها تذهب معي كلاَّ ولكن لها اصدقاء اكبر منَّا سنًّا وفي مقدمتهم عمكِ وهو اطوع للملكة من بنانها

فقالت اذا كان ارخبيوس يفعل ذلك فلا بأس

فقال اظنهُ يفعل ويهمهُ امر الفتى كما يهمكِ وقد ذهب الآن ليدعوها الى ابعديتهِ ولا بدَّ من ان تنتفع بهواء البر

فقالت عسى ان تينع وتزهر كزهر الربيع

فقال حسناً تفعلين في ما تتمنينهُ لها لانهُ اذا عادت الملكة غير منصورة تضاعف حنق الشعب والظاهر انكِ نسيتِ ما يمكن ان يحدث اذا عادت بالفشل بعد ان تغتصب حديقة دديموس

فصرخت مَن يقول انها لا تعود منصورة لا بدَّ من ان يكون النصر حليفاً لها . ان هذا البحري الرودسي سمع الخبر سمعاً والذي اخبرهُ اياهُ سمع سمعاً ولم يرَ بعينهِ — اراجيف لا تصدَّق وهب ان الاسطول انكسر فجيوشنا البرية اكثر من جيوش اكتافيوس واقوى ومَن يقدر ان يقف امام انطونيوس لاسيما وان على هذه الحرب يتوقَّف اسمهُ وشرفهُ . مَن يصدِّق هذيان هؤلاء البحَّارة . ولكن السنونو كانت على سفينة امير البحر وقد رأى مارديون وعمك زينون السنونو الغريبة تطرد السنونو الاهليَّة وتقتل فراخها وهذا كلهُ شؤم علينا لا انساهُ ولا انسى الحلم الذي حلمتهُ وانا مريضة . لقد طال وقوفي هنا ولا بدَّ من الذهاب ولكني غير نادمة اذ قد اطمأَن بالي على قيصاريون انصبوا التمثال اينما تشاؤُون فيرى الشعب ويعلم اننا نحسب لهم حساباً ونعمل برأيهم ونحترم حقوق الرعيَّة . ساعدني حتى نحوّل هذا الامر لنفع الملكة واذا نجح ارخبيوس في ابعاد بارين من هنا وكان لك مأرب آخر فهو لك ولكنك لم تعد تعبأ بصديقتك القديمة بعد ان ذبلت نضارتها . فقال كيف تذبل وقد تعلَّمت من مولاتها سر تجديد الصبا حتى تبقى صبيَّة ابد الدهر

فشكرتهُ على ذلك ومدت اليهِ يدها ليقبلها وكانت اجمل ايادي النساء بعد يد كليوباطرة فوضع شفتيهِ عليها وكاد لا يمسها فنزعتها منهُ بغيظ كأَنها ندمت على ما فعلت وقالت قوتل

الانسان ما اجهلهُ كيف نلتفت الى هذه السخائف والهموم متراكمة فوق رؤوسنا اما بارين فلا تسأم الاقامة في ابعديَّة ارخبيوس لانني اعرف مَن يتبعها حالاً اليها . ثم نادت الحمالين ليحملوا المحفة ويسيروا بها الى برج نيلوس امام باب الشمس

ووقف ديون ينظر الى المحفة الى ان غابت عن بصرهِ ثم وضع اصابعهُ بين مفارق شعرهِ واسرع الى الشاطئ ونزل في زورق من زوارق النزهة ونشر شراعهُ بيدهِ وسار الى المرفإ

الفصل الخامس

لما انفصلت بارين عن زوجها عادت الى بيت امها وكان ابوها قد توفي وهي صغيرة السن. كان من اشهر مصوري العصر وكانت امها من بيت مشهور بالعلم والفضل ولها اخ اسمهُ اريوس معدود من كبار الفلاسفة وهو الذي علم اكتاڤيانوس قبل وقوع العداء بينهُ وبين مرقص انطونيوس . ثم وقع العداء وطلَّق مرقص انطونيوس زوجتهُ اكتاڤيا اخت اكتاڤيانوس لكنهُ لم يضمر العداء لاريوس بل بقي يجلُّ قدرهُ ووهبهُ بيتاً في الاسكندرية ليقيم فيهِ

واسم ام بارين برنيكي وكانت من فضليات النساء وقد ربَّت بنتيها بارين وهيلانة وابنها هبياس احسن تربية وكان هبياس كالفرَس الحرون حتى لم تكد تستطيع كبح جماحهِ وكانت بارين انموذج الفطنة والذكاء من صباها واما هيلانة فكانت على غاية الوداعة والانكسار

ودرس هبياس الخطابة في الاسكندرية ثم في اثينا ورودس وكان خالهُ اريوس قد بعث بهِ الى رومية وكتب الى اصدقائهِ فيها ليعتنوا بهِ

وبقيت بارين مع زوجها سنتين اذاقتاها المرَّ وحوَّلتاها من الحدَّة الى الدعة . ولم ترضَ امها ان تزوجها بفيلستراتس الَّا لانها رأت جدها يجلهُ ويحسب انهُ سيكون من النوابغ وابواب النجاح مفتوحة امامهُ لان اخاهُ الكساس كان سميرًا لانطونيوس . لكن فيلستراتس كان من اقبح الناس سيرةً ولا يفوقهُ في قبح السيرة الَّا اخوهُ وبلغ من وقاحتهِ ان كاشف امرأة اخيهِ بحبهِ لها فانتهرتهُ ووبختهُ فاضمر لها السوء

وكان ابوها مصورًا مشهورًا كما تقدَّم فورثت منهُ محبة الفنون الجميلة ولاسيما فن الغناء وقد ربَّى فيها هذه الملكة ففاقت بها اترابها واحرزت قصب السبق وقتما تغنينَ بمدح الآلهة. ولم تكن تغني الَّا في بيتها او في الحفلات الدينيَّة وقد سمعتها الملكة تغني في عيد ادونس وسمعها انطونيوس فاعجب بها ثم زارها في بيتها ومعهُ ابنهُ انتلس ولو لم تدعهُ الحرب الحاضرة الى مغادرة المدينة لزارها مرارًا اخرى . ثم زارها انتلُس بعد ذلك ومعهُ قيصاريون كما ذكر آنفًا ولم تكن

نعدها من زوارها الذين ترغب في زيارتهم ولو كان تنازلها الى زيارتها يعدُّ شرفًا كبيرًا عند امثالها. واوجست امها شرًّا من ذلك وودت ان يقلعا عن زيارة ابنتها لاسيما وانها كانت كثيرة الهواجس والظنون مع انها كانت تحاول اخفاء ذلك لكي لا تنغّص عيش اولادها. وكانت قليلة الكلام لكن كلامها كان موزونًا يدل على ترويها ولذلك كان زوَّار ابنتها يهابونها ويجلون قدرها حاسبين انها تدرك ما يخالج ضمائرهم

واتفق ان اريوس خال بارين كان مارًّا في السكة السلطانيَّة قبل الحوادث المذكورة في الفصل السابق فلطمتهُ مركبة مسرعة والقتهُ على الارض جريحًا فحملوهُ الى بيتهِ وكان لهُ ولدان شابَّان فاقسما ان ينتقما من الرجل صاحب المركبة . وخاف اريوس من ذلك لانهُ كان يرجّح ان صاحب المركبة هو انتلُس بن انطونيوس وزاد ذلك في قلق برنيكي . وفي مساء ذلك اليوم اقبل كثيرون على بيت بارين لزيارتها حسب العادة وتبعهم انتلُس واراد البوَّاب ان يمنعهُ من الدخول فدخل رغمًا عنهُ وفتح باب الغرفة التي تقابل بارين زوَّارها فيها وهي الغرفة التي كان ابوها يصوّر فيها لكنهُ رآها خالية لا احد فيها فعاد ادراجهُ وكان معهُ طاقة من الازهار فوضعها في يد تمثال صغير من الخزف وهو تمثال اله الحب. ورأى البوَّاب والخادمة انهُ كان يترنح سكرًا ولما سمعت برنيكي بذلك اوجست شرًّا وزادت قلقًا وهمًّا لانها اذا اخبرت معلمهُ حتى يمنعهُ من دخول بيتها اغتاظ وفعل ما لا تحمد عقباهُ واذا تركتهُ وشأنهُ كانت العاقبة اوخم . وجلست تنتظر بارين عسى ان تعود بخبر سارّ لانها كانت تعلم بالاختبار ان البلايا اذا توالت تولَّت والمصائب اذا اشتدَّت آذنت بالزوال . واخيرًا عادت بارين ودخلت غرفة امها واعتنقتها بشوق ولهفة ففرُج عن برنيكي لانها قالت في نفسها لا بدَّ من خبر سارّ مع انها علمت ان بارين دخلت غرفتها قبلُ ورتبت شعرها ولا بدَّ من ان تكون خادمتها قد اخبرتها بكل ما جرى. ثم قالت في نفسها ما اجمل هذه الصورة من يراها لا يظن ان عمرها اكثر من تسع عشرة سنة وما اجمل هذا الثوب الابيض والبقهُ عليها بخرجهِ الازرق وما اجمل الشريط الازرق في شعرها الذهبي الاجعد. من يصدق ان تجعيدهُ طبيعي لا صناعي وان حمرة وجنتيها من صنعة الآلهة لا من صنعة البشر وما اجمل هاتين الذراعين واشد بياضهما . ولكن لماذا لبست السوار الذي اعطاها اياهُ انطونيوس هل هي منتظرة ديون . لماذا زاد فؤَادي خفقانًا هل خبَّأَت لنا الاقدار شرًّا جديدًا

هذا ما جال في خاطر برنيكي وما حدَّثت بهِ نفسها وبارين واقفة امامها تقصُّ عليها ما رأتهُ في بيت جدها . ثم جلست على مقعد واتكأَت على مساندهِ واشارت الى ما فعلهُ انتلس

استخفاف تامّ . فاستغربت امها ذلك وقالت لها ولكن من يستطيع ان يصدهُ عن هذا العمل
فقالت بارين نحن نصدهُ
فقالت امها ولكن ان دخل غضباً عنا. فابرقت عينا بارين وكانتا زرقاوين كلون السماء وقالت بصوت كلهُ حزم وشدّة ليجرّب ان استطاع . فقالت امها ولكن باي واسطة تمنعينهُ فقالت ساخبرك بالاختصار التام لانني انتظر الآن ارخبيوس وهو آتٍ لشغل مهم جداً
فابرقت اسرّة برنيكي ثم قطبت حاجبيها وقالت آتٍ لشغل مهم في هذه الساعة من الليل هذا الذي كنت اخشاهُ منذ الصباح فانني رأيت غراباً وانا ذاهبة الى بيت اخي فمرّ عن يساري
فقالت بارين ولكن انا رأيت سبع حمامات وهذا احسن فال حماماتٍ بيضاء كالثلج وطارت كلها عن يميني والاولى منها في منقارها سلّة صغيرة فيها عوذة تمنع انتلس من دخول بيتنا . لماذا تنظرين اليّ بعين الدهشة والشك
فقالت امها ولكنك قلتِ الآن ان ارخبيوس آتٍ لشغل مهم جداً فكيف ذلك لماذا لا تخبرينني عن سبب مجيئهِ وما معنى هذه الالغاز. فقالت بارين لقد اتّضح لي يا اماهُ ان هذه الحالة لا تناسبنا ولا يمكن ان تدوم . وانا لم ازل في ريعان صباي فلا يليق ان نفتح بيتنا لكل زائر نعم ان زوّارنا كلهم من جلّة القوم وفضلائهم وظاهر الامر انهم يأتون لزيارتكِ انتِ لانكِ لا تخرجين من الغرفة التي نقابلهم فيها وانتِ صاحبة البيت ولكنك قليلة الكلام فيحسب الرائي انني انا المقصودة في الزيارة لان اكثر الكلام معي وانا اجيب عنهُ . والظاهر ان الناس الذين ياتون لزيارتنا الآن يقولون انهم آتون لزيارتي وهذا ليس مما تحسن سمعتهُ
فابرقت اسرّة امها وقالت لها هاتِ خبريني بن التقيتِ هذا النهار
فقالت التقيت بسبع حمامات واخبرتني اجملهنّ قصّة ساقصها عليك
ثم اسندت رأسها على الوسائد التي وراءها واطبقت جفنيها وقالت . حدث في بعض الايام ان امرأة كان لها بستان في اجمل حي من احياء هذه المدينة مملوء بالاشجار المثمرة فتركت بابهُ مفتوحاً على ضد ما فعلت جاراتها لكنها علّقت على الباب لوحاً كتبت فيهِ انهُ يباح لكل احد ان يدخل و يرى ما في البستان واذا تجاسر وقطف ثمرةً او زهرة ففي البستان كلب يعضهُ مع انهُ لم يكن عندها سوى كلب صغير ينبح ولا يعقر . وفي اول الامر لم يدخل البستان احد سوى بعض الجيران وهم يحبونها ويكرمونها فلا يمسون شيئاً من بستانها ولو لم تحذرهم من كلبها . واخيراً اتى لص وبحّار وشحّاذ وكانوا يجهلون القراءة فدخلوا البستان ولمّا لم يرو

احدًا يزجرهم قطفوا الاثمار وداسوا الازهار . واقتنى غيرهم اثرهم والرزق السائب يعلم الناس الحرام حتى اقفر البستان ولم يعد فيهِ شيءٌ يرغّب الناس في الدخول اليهِ فاقفلت صاحبتهُ بابهُ وفي السنة التالية هطلت الامطار واينعت الاشجار والازهار فتمتعت بهِ وحدها ولم تعد تسمع ما يزعجها من نباح كلبها

فقالت امها نعم ولو اقتصر زوارنا على كرام القوم مثل جورجياس وليسياس لابقينا بابنا مفتوحًا اما وقد دخلهُ الاشرار مثل انتلس فلا بدَّ من اقفالهِ

فقالت بارين اذًا ادركتِ مغزاي وغدًا نقفل بابنا ولا ندع احدًا يدخلهُ الّا الذين نريدهم . فقالت امها احسنتِ وهذا الذي يسرُّني وعسي ان لا تعدلي عن عزمك

فقالت بارين لا يمكن ان اعدل عنهُ فقد صممت نيتي علي ذلك ولا بدَّ من ان تعوضنا الآلهة ما خسرناهُ

فقال ارخبيوس (وكان قد دخل الغرفة حينئذٍ) ثمَّا تعوضكما . فنهضت بارين لاستقبالهِ ومدت اليهِ يديها وقالت لقد ابتدأت بالتعويض بقدومك

الفصل السادس

يسهل على المصور الماهر ان يزين بيتهُ باجمل الصور والنقوش لانهُ يجد لذةً في ذلك . وكان ليونكس ابو بارين من مهرة المصورين فابدع في نقش بيتهِ وتزيينهِ فصوَّر على جدران غرفتهِ صورًا كثيرة تمثل بعض الحوادث الشهيرة في تاريخ الاسكندر المكدوني باني الاسكندرية ورسم فوقها جماعات من آلهة الحب

وكانت بارين تستقبل زوارها في تلك الغرفة وكلهم يعجب بما فيها من الصور . حتى ان انطونيوس زارها هو وابنهُ عن رغبة في مشاهدة صورها لانهُ كان يحب ان يربي ابنهُ على محبة الفنون الجميلة . ولم يستخف بجمال بارين وصوتها الرخيم بل وفَّاهما حقهما من المدح وكان قلبهُ متعلقًا بحب كليوباطرة وحدها لا يسع حبٌّ احد معها . لكنهُ سُرَّ ببارين كما يسرُّ المرءُ بصورة جميلة وكان كريمًا متلافًا ويحب ان يقال عنهُ انهُ اكرم الناس فاهدى اليها سوارًا من الذهب مرصَّعًا بحجر كريم عليهِ صورة ابولو يلعب علي قيثارهِ وحولهُ الهات يصغين اليهِ وهو من نقش امهر نقاش قام في الاسكندريَّة في عصر فيلادلفس حتى يقال انهُ يفوق كل ثمن . وقد رأى انطونيوس ان هذا السوار يحسن ان يكون هدية لمن سحرتهُ بصوتها الرخيم . فاهداهُ اليها وسرَّت بارين بهِ لانها وجدتهُ يناسب ذراعها فكانت تلبسهُ غالبًا

وكان في تلك الغرفة تماثيل من صنع امهر النقاشين منها تمثال رجل من البرابرة يصبُّ ماء من قربة على ظهرهِ في صدفة كبيرة ومنها تمثال اله الحب الذي وضع انتلس طاقة الزهر في يدهِ فاتلفهُ قليلاً وكان ابوهُ لما دخل الغرفة قد نزع اكليلهُ عن رأسهِ وطرحهُ تحت قدمي صورة الاسكندر ففعل ابنهُ ما يدلُّ علي اختلاف في طباع الاب والابن

ولم تكن بارين جالسة حينئذٍ في غرفة الاستقبال بل في غرفتها الخاصة وكان فيها كثير من الصور التي صوّرها ابوها . ونزعت برنيكي الازهار التي وضعها انتلس في يد تمثال اله الحب ووضعتها على مائدة فرآها ارخبيوس ودار الكلام على انتلس . فقالت بارين بعد ذلك لقد ضحّينا ضحايا كثيرة لاله الضيافة ولا بدَّ لنا من الآن فصاعداً من الاقتصار على خدمة آلهة البيت واله الغناء الذي جاد عليَّ بصوتي . وكان ارخبيوس يصغي الى كلامها ويداخلهُ الريب في بقائها علي عزمها . وكان شيخاً محنكاً كما تقدَّم ومشهوراً باصالة الراي حتى ان الملكة كانت تعتمد علي مشورتهِ اكثر مما تعتمد على مشورة احد آخر سواهُ فلما سمع بارين وامها تتكلمان عن العزلة قال لهما ألا يكون من الحكمة ان تخرجا من المدينة اولاً لانكما اذا اقفلتما بابكما فجأة اغظتما كثيرين وفتحتما باباً للقيل والقال واما اذا خرجتما من المدينة فيأسف كثيرون لفراقكما ولكنهم لا يغتاظون منكما

فسلمت برنيكي حالاً واما بارين فجعلت تفكر في الامر ثم سألتهُ عن المكان الذي يستنسبهُ لهما فعرض عليهما بيتهُ في جهات البحيرات . ولحظ حالاً ان ترددها عن الخروج من المدينة لا بدَّ وان يكون لهُ سبب حبي فقال انكما تكونان هناك قريبتين من المدينة فلا ينقطع اخص اصدقائكما عن زيارتكما. وحينئذٍ رفعت بارين رأسها وابرقت عيناها فقالت لامها اذاً نذهب . وكان اسم ابعدية ارخبيوس إيرنيا اي وطن السلام فتفاءلت من ذلك خيراً واشارت الى خيل مركبتهِ التي تسابق الرياح . فقال ان زيارة ضيوفي احب شيءٍ اليَّ ولكن خروجي من المدينة يتوقف على حال الملكة وما نسمعهُ من اخبارها . ثم قال انهُ سمع بانتصارها حديثاً وهذا اراح بالهُ بعض الراحة فاستطاع ان يزورهما حينئذٍ ووَدَّ ان يطيل زيارتهُ لانهُ كان ينتظر ان يرد عليهِ ما يؤيد الخبر وهو هناك

وكانت تبدو على وجههِ امارات الهم وتوقُّع المكاره واخيراً قال لهما لقد تمَّ الغرض الذي اتيت لاجلهِ فقد اتيت لاقنعكما بالخروج من المدينة لا لانني اخشى شرّاً من انتلس بل لانني اخشى من قيصاريون فيجب عليكِ يا بارين ان تبعدي من طريقهِ ولا تدعيهِ يصل اليكِ بوجه من الوجوه

فقالت يا حبذا لو امكنك ان تنقلني الى القمر لكي اكون في ابعد البعد عنهُ وهذا هو السبب الذي يحملني على الخروج من المدينة لانني اعلم انهُ يستطيع ان يفتح بابنا ولو اقفلناهُ في وجههِ. أليس من الظلم ان تسمي هذا الشاب المغرور ملكاً

فقال نعم انهُ شاب ولكن مَن يعلم ما يكنُّهُ فؤاد ابن قيصر وكليوباطرة . وقد ظهر لي ان سهم الحب نفذ فؤادهُ وكيفما كانت الحال فهذا يقلق امهُ ويكدّر صفو عيشها ولذلك يجب ان تسرعي في الخروج من هذه المدينة ولا يعلم احد بالمكان الذي تذهبين اليهِ . ولا اخشى منهُ شرًّا ولكن هو ابن والديهِ ويمكن ان يفعل مالا ينتظر منهُ

فقالت لقد اقلقتني ومن يحسب ان ذلك الحمَل الوديع يكون ذئباً خاطفاً

فقال نعم ويجب ان تنظري اليهِ كانهُ ذئب خاطف وانا دعوتك الى بيتي لا لمجرّد حبي لكِ بل ايضاً لا خدم التي انا مديون لها بكل ما امتلكهُ. وعلمت بارين وامها من كلامهِ انهُ يفديهما ويضحي كل شيءٍ مرضاةً للملكة ودفعاً لما يمكن ان يكدر عيشها ولم تكن تنتظر منهُ غير ذلك لانها كانت تعلم ان الملكة اغنتهُ وجعلتهُ من عظماء بلادها ولو شاء لكان الآن المتصرف المطلق في امور المملكة كلها لان الملكة عرضت عليهِ اعلى مناصبها اما هو فاختار ان يبقى معتزلاً مناصب الحكومة حاسباً انهُ يستطيع ان يخدمها وهو خارج المنصب اكثر مما يستطيع ان يخدمها وهو فيهِ . وكانت امها قد اخبرتها ان الملكة تعرَّفت بهِ وهما طفلان وربيت معهُ لان اباهُ كان يعلمها مع اولادهِ ويقال ان الملكة كانت تحبهُ في صباها . فلما قال ما قال عن غيرتهِ على الملكة قالت لهُ بارين نعم اني اعلم ذلك ولا انتظر سواهُ. ثم اشارت الى صورة كبيرة صوَّرها ابوها للملكة وهي في التاسعة عشرة من عمرها وقالت لهُ الم تكن آية في الجمال

فقالت كانت كما صوَّرها ابوكِ تماماً . وقد صوَّر اكتافيا ايضاً تلك السنة ولعلَّهُ حسبها اجمل من كليوباطرة . قال ذلك وهو يشير بيديهِ الى صورة اكتافيا وكانت معلقة على الحائط امام صورة كليوباطرة وقد صورها ابوها لما كانت زوجةً لمرسلس زوجها الاول

فقالت برنيكي كلاَّ بل لا ازال اتذكر ما قالهُ وقد سألتهُ ايهما اجمل فقال ان اكتافيا اذا قوبلت بالجميلات كانت اجملهنَّ اما كليوباطرة فلا يمكن ان تقابل بغيرها لانها اجمل من كل جميلة

فقال ارخبيوس لقد صدق ولما رأيتها اول مرة حسبتها الهة من الالاهات الجمال

فقالت بارين وكم كان عمرها حينئذٍ . فقال كان عمرها ثماني سنوات . مضت السنون ولكنني لا ازال اتذكَّر ذلك كأَنهُ حدث امس

فقالت حبذا لو كنت تقصُّ علينا بعض اخبارها

فاطرق هنيهةً ثم رفع عينيهِ وقال نعم قد يحسن ان تعلما مَن هي المرأة التي طلبتُ منكما ان تخرجا من المدينة لكي لا ينالها منكما شيء يكدرها فان اريوس خالكِ يا بارين متعصِّب لاكتاڤيانوس ويظن ان اكتافيا اختهُ اجمل النساء وبسببها ثارت هذه الحرب بينهُ وبين انطونيوس لان انطونيوس طلَّقها وفضَّل كليوباطرة عليها . ولا شأن لي في تفضيل الواحدة على الاخرى ولكن الرومانيين يحرقون البخور اكراماً لاكتافيا واذا ذُكر اسم كليوباطرة امامهم سدُّوا آذانهم وغطوا وجوههم والظاهر ان في الاسكندرية قوماً يفعلون فعلهم لكن الطهارة لا تختفي ولا بدَّ من ان تظهر . يقولون ان اكتافيا هي الزوجة الشرعية لانطونيوس وكليوباطرة جانية معتدية اغرتهُ بتركها

فقالت بارين انا لستُ منهم فقد طالما سمعتُ خالي يقول ان انطونيوس كان يحب كليوباطرة حبًّا شديدًا وهي كانت تحبهُ كما كان يحبها قبلما اقترن باكتافيا ثم دعت احوال السياسة ان اصطلح مع اكتافيانوس فاقترن باختهِ بعد ما مات زوجها. اقترن بها حسب الظاهر ولكن قلبهُ كان عند كليوباطرة فاذا خان عهد اكتافيا التي اقترن بها لغرض سياسي محض فقد بقي على عهدهِ مع كليوباطرة وان كانت كليوباطرة قد بقيت على حبها لهُ ولم تتركهُ لاخرى فلا لوم عليها فانها هي زوجتهُ الشرعيَّة في نظر الالهة مهما تقوَّل الناس . واكتافيا دخيلة لا حقَّ لها بهِ ولو تمَّت جميع شروط الزيجة الشرعيَّة وقت زواجها . وهذا الزواج مكروه في عيون الالهة ولو رضيت بهِ الناس . سامحيني يا امَّاهُ اذا غلبتني الحدَّة

وكانت برنيكي تسمع كلام ابنتها وقد صعد الدم الى رأسها فقالت لها هذه آراء الجيل الحاضر والمصريون يحسبون انطونيوس زوجًا شرعيًّا للملكة لكن الملكة ليست مصريَّة بل يونانيَّة ولا احد يلوم اكتاڤيا لان اقترانها بانطونيوس كان شرعيًّا ايضاً وعسى ان يكون الفوز لكليوباطرة وانطونيوس على اكتاڤيانوس لانني اكرهُ اكتاڤيانوس على ما فيهِ من برودة الطبع ولو كان اخي يجلهُ لاجل ذلك ولكنني حينما ارى صورة اكتاڤيا وعلى وجهها الجميل سمات العفَّة والطهارة والشمم —

فقال ارخيبوس لا يمكنك الآن ان تعجبي بها ولكن الحكمة تقضي ان تخفيا صورتها الآن واذا فزنا فهذه الامور تزول كأنها لم تكن والآ — ولكن لقد ابطأ الرسول

فاخذت بارين تطلب منهُ ان يخبرها عن كليو باطرة مدة انتظارهِ الرسول وقالت ان الملكة لم تلتفت اليها الاَّ مرةً واحدة حينما غنَّت في عيد ادونس فانها دنت منها حينئذٍ وشكرتها بكلمات قليلة خرقت الى اعماق نفسها ولما وقعت عين بارين عليها ودَّت اولاً ان تقبِّل

هدب ثوبها ثم شعرت كأن افعى سامَّة خرجت منها وكادت تلسعها

فقال ارخبيوس ان انطونيوس اعجب بكِ حينئذٍ فابدت الملكة شيئًا من ضعف النساء

فقالت بارين هل غارت مني لم اكن مغترة بنفسي حينئذٍ حتى احسب انها تغار مني بل ظننت ان الكساس اخا فيلستراس وشى بي اليها وكل ما يتعلق بذينك الرجلين دنيءٌ سمج فلا اريد ان يتكدر صفاءُ هذه الساعة بذكر اسمهما ولكنني لا استبعد ان يكون قد وشى بي الى الملكة ولفَّق لها اكاذيب كثيرة لانني اعرف طبعهُ واعرف انهُ يستهل السعاية بين انطونيوس وبينها

فقال ارخبيوس اصبتِ وانا لم اعرف ذلك الاَّ حديثًا

فقالت كنتُ مصيبة واتذكَّر جيدًا كيف انني نظرت اليها بملء الثقة والحب فرأيت في عينيها ما يبعدني عنها

فقال ولولا سعاية ذلك الخبيث لكنتِ الآن من عشاقها وهذا شأن كل من رآها. لما رأيتها اول مرة كانت طفلة كان عمرها ثماني سنوات

وقامت بارين حينئذٍ واتت بالمعزل لامها وصبَّت ماء لارخبيوس فوق الخمر ووضعت مرفقها على ركبتها والقت رأسها على يدها وشخصت اليهِ تسمع ما يقول فقال

تعرفان بيتي في قنوبس كان اولاً قصرًا صغيرًا للملك ولم نغيرهُ الاَّ قليلاً وحديقتهُ لم تزل على حالها . وقد كانت حينئذٍ كما هي الآن مملوءة بالاشجار الغضَّاء . وكان ملك مصر حينئذٍ ضعيفًا جدًّا حتى لقبهُ الشعب بالمغنّي . كان خاضعًا لزوجتهِ تريفينا وابنتها الكبرى برنيكي فافسدتا حالهُ لانهُ كان فاضلاً بالنسبة اليهما . ماذا جرى للبطالسة ابطال الدهر ودهاة السياسة حتى فسدت امورهم وصارت قصورهم مباءة للشرور والمنكرات. هذا الملك ابو كليوباطرة كان يستحلُّ كل شيءٍ مثل غيرهِ من الذين عاصروهُ وتقدموهُ ولكنهُ كان ارقى منهم لانهُ كان يكره الشرور الكبيرة ويعرف انهُ يوجد ما يسمَّى فضيلة وانهُ يمكن غرسها في نفوس الاحداث لانهُ تعلَّم في صغرهِ من رجل حكيم فاضل فبقيت آثار تعاليمهِ راسخة في نفسهِ وجعلتهُ يبعد بنتيهِ عن امهما لكي لا تتلوثا بقبائحها . وعرفتُ بعد حين انهُ كان ناويًا ان يأتمن ابي على تعليمهما وتهذيبهما ولكن الشرائع المصرية تقضي بان اولاد الملوك يتعلمون الفرائض الدينيَّة من الكهنة المصريين وهذا حال دون رغبتهِ اولاً غير ان الطبيب اولمبُس اشار بان ترسل كليوباطرة الى الصعيد في فصل الشتاء لان جسمها لا يحتمل برد الاسكندريَّة وان تقيم في فصل الصيف في قصر قنوبس وكنَّا ساكنين في حي المتحف فانتقلنا الى قصر قنوبس لكي تأتي كليو باطرة واختها وتقيما معنا . كان عمري حينئذٍ خمس عشر سنة وكنا ثلاثة انا واختي شارميان واخي ستراتون

الذي مات منذ زمن طويل واوصانا ابي ان نعامل الاميرتين بالاحترام والاكرام الواجبين

وفي اليوم السابق لوصولها ورد على القصر خيل ومركبات ومحفّات وقوارب ويخت ملكي وكثير من الخدم والحشم وبينهم خصيّان كبيرا الهامة . ولا ازال اتذكر كيف نظر ابي الى ذلك الجمع بالغيظ والدهشة ونزل حالاً الى المدينة ثم عاد ومعهُ واحد من بلاط الملك فردَّ كل الذين طلب ابي ردهم وارجع كل ما طلب ارجاعهُ من الامتعة

ووصلت الاميرتان في اليوم التالي محمولتين في محفتين لا خدَم معهما ولا سيَّاس امامهما حسب طلب ابي . وكنا في بداءة فصل الربيع وقد تفتحت الازهار وتغنَّت الاطيار وكنت جالساً على غصن جميزة امام القصر ارقب وصولها فلما وصلتا لم ادرِ الى ايتهما اوجه نظري. نزلت الاولى من محفتها كأَنها فراشة وادارت رأسها يمنةً ويسرةً ونظرت الى ابي وامي كأَنها تستغيث بهما. رأَيتها فرأَيت الهة في صورة انسان جمالاً يفوق الوصف وطلعة تسبي القلوب . ثم نزلت الثانية وهي كاختها طولاً ولكنها راسخة القدم نزلت من المحفة ووضعت قدميها على الارض معاً ورفعت رأسها بشمم وهي سوداء الشعر بيضاء الوجه حمراء الوجنتين زرقاء العينين ونظرت الى والديَّ والى ما حولها نظر الازدراء . فغاظني ذلك منها لكنني قلت في نفسي لعلها وجدت هذا القصر اصغر من القصر الذي جاءت منهُ حيث المرمر والذهب والفضة بغير حساب. وعرفت بعد حين ان الاولى كليو باطرة والثانية ارسينوى ثم جعلت ارسينوى تأمر وتنهى كأَنها ملكة فقلت لاخي واختي انها الكبرى وانها ملكة ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى رأَينا ان كليو باطرة هي الملكة لان ارسينوى كانت تبكي وتزعق كالمجانين اذا خولفت ثم اذا لم يُجْدِها البكاء نفعاً عادت الى التضرُّع والتوسُّل . اما كليو باطرة فكانت تنال كل ما تطلبهُ لانها تطلبهُ في سبيلهِ

لم ترَ عيني ابنةً ابعد عن الادعاء والخيلاء منها ولكنها اذا ارادت شيئاً ولم تنلهُ فلها اسلوب لنيلهِ لا يخيب شجيٌّ صوتها وسحر الحاظها ودموع عينيها وكلمات رقيقة تذيب الفؤاد كقولها يا حبذا لو فعلتم ذلك فانهُ يسرني . يا حبذا لو تركتم هذا فانهُ يؤلمني . وبمثل هذه الالفاظ العذبة تنال مآربها والاَّ عززتها بدموع عينيها فيكون الفوز لها كما فازت بعدئذٍ في اشد النوائب

وحالما وصلتا اخذنا نلعب سويةً لان ابي لم يشأ ان تشرعا في الدرس قبلما تألفان المكان. وهذا سرَّ ارسينوى مع انها كانت قد تعلمت ان تقرأ وتكتب واما كليوباطرة فطلبت مراراً ان يشرع ابي في تعليمها لانها سمعت كثيراً عن علمهِ وحكمتهِ

وكان الملك ينتظر ان تفوق اترابها وكذلك اولمبُس الطبيب وضع يدهُ على رأسي مرة وقال لي احذر يا فتى لئلاَّ تسبقك فقلت لهُ كن مطمئن البال ولكن لم تمضِ ايام كثيرة حتى

رأيتهُ مصيباً في تحذيرهِ . وقد تظنّان انني ابالغ اذا قلت ان الالهة خصتها بعقل فائق وذكاء نادر حتى كانت كأنها واحدة من الآلهة . فقالت بارين ولكن اي شيء سابها ذلك الشبه

فنظر ارخبيوس اليها نظر اللوم وقال لو اخبرتكما عن فضائلها لما رأيت وجهاً لطرح هذا السؤال ولكن لماذا اخفي ما هو ظاهر في سيرتها . كان الكذب والخداع بعيدين عن طبعها بعد السمك عن الصحراء ولقد كان اساس اخلاقها وغاية ما ترمي اليهِ ان تفوق غيرها في كل ما تفعلهُ وان تُحِبَّ وتُحَبَّ وهذان الخلقان رفعاها فوق كل امرأة ولا يزالان يقيانها السقوط من المقام الرفيع الذي وصلت اليهِ وعسى ان يقياها ابد الدهر

ثم اخذ يمسح العرق عن جبينهِ وقال اذا جاء الرسول فليدخل اليَّ حالاً وعاد الى كلامهِ فقال : ولما اقبل الشتاء التالي أُرسلت الاميرتان الى جزيرة انس الوجود فاقامتا فيها مدة اشتداد البرد ثم عادتا الى قنوبس وكان الملك يزورها احياناً كثيرة فيأتينا في محفة بسيطة سرًّا حتى لا يعلم احد بزيارتهِ الاَّ طبيبهُ اولمبس وكثيرًا ما كنت اراهُ يلعب مع بنتيهِ كأنهُ من عامَّة الناس وكان طويل القامة احمر الوجه ولكن لم يكن يقيم عندنا الاَّ مدة قصيرة جدًّا وكان اذا وقف مع بنتيهِ يكلمهما ابعد كل احد عنهُ فيسألها عمَّا اذا كانتا مسرورتين من الاقامة معنا . وكانت كليو باطرة تجيبهُ انها مسرورة جدًّا واما اختها فمرَّت ايام قبلما الفتنا وكان يعتمد على قول كليو باطرة ويسرُّ بكلامها واجوبتها

وذات يوم اتى ورأيتهُ يكلمهما والدموع تهطل من عينيهِ ثم اعتنقهما وعاد سريعًا ولما بلغ الاسكندريَّة نزل الى سفينة سارت بهِ الى قبرص فرومية لان اهالي الاسكندرية خرجوا عليهِ مع الملكة زوجتهِ واضطروهُ الى مغادرة بلادهم

لم يستحق ان يكون ملكاً ولكنهُ كان يحب ابنتيهِ كما يجب ان يحب الوالد اولادهُ ولقد اخطأ في توصيتهما ببغض امهما وابنتها الكبرى وقصر محبتهما عليهِ

كان عمري حينئذٍ سبع عشر سنة وعمر كليوباطرة عشر سنوات ولكنني اغتظت لما سمعت ارسينوى تهمس في اذن اختها بعد ذهاب ابيها قائلة نعم يجب ان نبغضهما عسى الالهة ان تهلكهما فاجابتها كليوباطرة والدموع ملء عينيها كلاَّ بل لنجتهد حتى نكون احسن منهما فتحبنا الالهة وترد ابينا الينا . فقالت لها ارسينوى انك تطلبين ان يعود حتى يجعلك ملكة . فنظرت كليوباطرة اليها وكأنها كانت تزن كلامها ثم قالت نعم وساصير ملكة . لكنها اطرقت قليلاً بعد ذلك وقالت بصوت منخفض عسى ان لا تقولي لي مثل هذا الكلام بعد الآن يا عزيزتي

ثم تمَّت نبوءة الطبيب لانني رأيتها فاقتني في بعض الدروس التي كنا ندرسها سوية وكان ابي يميل الى مذهب الفلاسفة الابيقوريين فراقت لها تلك الفلسفة وتلقتها تلقي الارض العطشانة

للمطر واوجبت علينا ان نعيش معها كأَننا من تلامذة ابيقورس متمثلين بهِ وبتلامذتهِ لما اقام في أخريات ايامهِ في اثينا. فرضينا كلنا بذلك ما عدا ارسينوى وانتخبوني انا استاذاً لكنني لحظت ان كليوباطرة ترغب في هذا المنصب فتنحَّيت عنهُ لها وجعلنا نمشي كالفلاسفة المشائين ونبحث عمَّا هو الخير الاعظم وكانت كليوباطرة تدير البحث بمهارة فائقة وتحكم في المسائل الخلافية حكماً صائباً حتى سحرتنا بذكائها واصالة رأيها ولم نسمع الجنك حينما قرع يدعونا الى البيت

وصبيحة اليوم التالي رأى ابي كثيرين مجتمعين امام باب البستان فاستغرب امرهم ثم خرج اليهِ تماجنس الذي كان يدرّسنا علم التاريخ وبيدهِ لوح وعليهِ مثل الكتابة التي كتبها ابيقورس وهي " ايها الغريب هنا السعادة هنا الخير الاعظم الذي هو اللذة " . وكانت كليوباطرة قد كتبت هذه الكلمات على اللوح وعلقها لها احد العبيد فوق باب البستان اقتداء بابيقورس فلم يغتظ ابي من ذلك ولم يمنعنا ممَّا كنا فيهِ ولكنهُ حظر علينا ان نسمي انفسنا ابيقوريين خارج البستان لان الناس حرَّفوا اقوال ابيقورس واساؤوا فهمها فانهُ كان يقول ان اللذة تقوم براحة العقل وفقد الالم لا كما فهموا وقالوا

فقالت بارين . ان الناس يحسبون الاغنياء الذين ينفقون اموالهم على التمتع بالملذات ابيقوريين حقيقيين ولذلك ابت امي عليَّ ان اتعلم على استاذ يعدُّ اللذة الخير الاعظم

فقال ارخبيوس ان ابنة الفيلسوف يجب ان تعلم ما هو المراد باللذة في عرف ابيقورس نعم ان من كان بعيداً عن الفلاسفة لا يعلم ان ابيقورس كان يفضل اللذة العقلية على الجسدية حاسباً ان الجسدية وقتيَّة فانية واما العقليَّة فابديَّة دائمة وعندهُ ان خير الانسان الاعظم هو ان يكون عقلهُ مستريحاً مطمئنَّا وجسمهُ خالياً ممَّا يؤْلمهُ كما تقدَّم هذه هي اللذة التي يجب ان يتوخاها الانسان ومن كان متمتعاً بها فهو حكيم كريم عادل لانهُ لا يستطيع ان يتمتَّع براحة العقل ما لم يكن كذلك . وقد لحظتُ من ذلك الحين ان في هذا التعليم نقصاً لانهُ لا يوجب حفظ الآداب ايجاباً صريحاً . فراقت هذه الفلسفة لكليوباطرة لان عقلها كان شديد النمو ويحتاج الى ما يشغلهُ وفي ذلك لذتهُ . وكانت نحيفة لا تطيق الالم ولذلك وقعت منها فلسفة ابيقورس احسن وقع . وكان ابي يشبّهها بزهرة خُصَّت بموهبة العقل والفكر لكنها على نحافتها كانت على جانب عظيم من التجلُّد فاحتملت نفي ابيها وموت امها وتهتك اختها برنيكي بالصبر الجميل وكانت تحسبني اخاً ودوداً لها لكنها كانت اذا اضطرَّت ان تذكر هذه المصائب تشير اليها اشارةً من طرف خفي كأنها كانت تريد ان تتقي بالصبر كل ما يمكن ان يكون حائلاً بينها وبين السعادة

ستأتي البقية

كل مثلث تساوت الزاويتان اللتان فوق

القاعدة منه فوتراهما متساويان

ولبكن زاويتا ابح احب متساويتين فاقول ان
ضلع اب كضلع اح برهانه والا لكان احدهما
اعظم من الاخر فليكن الاعظم اح نفصل منه دح
كضلع اب بالشكل الثالث ونصل دب بخط
مستقيم فلان ضلع با من مثلث ابح كضلع دح

(الشكل الاول حروف مطبعة رومية)

فهرسة الكتاب

العقبة الاولى

من فيضان الروح القدس فى يوم البنطيقوسطى
الى زمن قونستنطين اى من سنة ٣٣
الى سنة ٣٢٤ مسيحية

القسم		صفحة
١	فى زمن الرسل	١
٢	فى ازدياد الكنيسة فى الاضطهاد	٢٣
٣	فى اضطهادات عامة فى ملك السلاطين الوثنيين .	٣٨
٤	فى ترتيب الكنايس الاولى وحالها وسيرة بعض اعضايها	٥٢

(الشكل الثاني حروف مطبعة مالطة)

والاكواب والاباريق والقوارير والكوس والاقداح والطاس والصحون والعُتد
والخروس والصيعان والدنان والصحاف والقِصاع والزُلَح والقوارى
والجِفان والعِلاب والبواطى والمآكل والقِعاب والنواجيذ والعِساس والعُسُس

(الشكل الثالث حروف مطبعة باريس)